

مواطن الشعوب الإسلامية

في أفريقيا

١٤

منايا

عن

محمود شاكر

نافذ أيوب بيلتو

الكتب الإسلامية

مَقْرُونُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُرُفِ

١٣٨٧ هـ - ١٩٧٧ م

المكتب الإسلامي - دمشق . ص . ب : ٨٠٠ . برقيا : إسلامي

اعتذار

يأخذ هذا الكتاب طريقه إلى المطبعة ويُبدأ على استحياء من تأخره الذي قارب العشرين عاماً ، فقد وعد به القراء منذ أن بدئت هذه السلسلة بالصدور ، ولكن الظروف حالت دون ذلك ، إذ كان حرصي أن يطلع القراء على البلاد غير المعروفة والمناطق التي تقع فيها أحداث حتى يضع المسلمون أيديهم على الخطر الذي يحيق بإخوانهم والأهواء السياسية التي تتقاذف مجتمعاتهم ولقد وقعت أحداث في هذه البلاد ولكن حالت الظروف أيضاً دون أن أقدم شيئاً للقراء عن هذا المصر الحبيب ، وانتهت الأحداث ، واستمر التواكل والتأخير . وكلما دفعت كتاباً إلى دار النشر شعرت بالمسؤولية تجاه هذا الذي تأخرت فيه . حتى زاد التأخير على الحد ، وزاد الخجل على الواقع وغداً بارداً .

والتقيت بأخي الاستاذ فاذ أيوب ييلتو فطلبت منه مساعدتي لتتابع الطريق سوية في تقديم هذه السلسلة لآخواننا لتعريفهم بأمصارها وكتابة هذه التعريفات الموجزة عن هذه المواطن للقراء ، فاعتذر ، ثم وافق بعد الإلحاح ، موافقة تجره الى الخلف أكثر مما

تدفعه الى الامام متعللاً لنفسه ومعتذراً لها ، وبعد عامين على هذه الحال شمر عن ساعد الجد فقدم إلي بعض الذي بأيديكم - جزاه الله كل خير - ، كما وعد بالمتابعة ، فأرجو أن يحقق الله النفع ، وأن ينفذ الأخ بما وعد •

والله هو الموفق وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل •

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإنه لا يمكن دراسة « مالي » منفصلة عن شمال إفريقيا ،
فأرضها امتداد لها ، وسكانها جزء من سكان الشمال الإفريقي ،
وهل الجغرافية سوى الأرض ومن عليها ؟ ، ومن ثم فإن عقيدة أهل
مالي قد وصلت إليهم عن طريق الشمال عبر الصحراء حملتها القبائل
ونقلها التجار والدعاة ، وأسس معظم الدول التي قامت على أرض
مالي أسر انتقلت إليها من الشمال ، كما أن المغرب حكم منطقة مالي
أكثر من قرن ، وإذا كانت الجغرافية واحدة فالتاريخ كذلك واحد ،
فكيف يمكن أن ندرس مالي منقطعة بجغرافيتها منفصلة بتاريخها
مبتورة عن أمتها ؟

وإذا كان الاستعمار قد وضع حدوداً فصلت بين المناطق
فقسمت الأرض ، وجزأت القبيلة الواحدة فعاش جزء منها في
الشمال وبقي قسم منها في الجنوب إلا أن هذه الحدود لم تستطع
أن تقطع بين القلوب التي وحدت بينها العقيدة وألفت بينها
الفكرة فكانت أمة واحدة ، وأهالي مالي جزء منها .

وإذا كانت الدعوة إلى الأجناس والتقوقع في المناطق الضيقة قد حجزت بين الشعوب ، وفرقت بين أبناء الأمة الواحدة أصحاب العقيدة الواحدة ، إلا أن هذه الدعوة لا يسكن أن تلبث طويلاً أمام الفكرة التي تنبع من العقيدة •

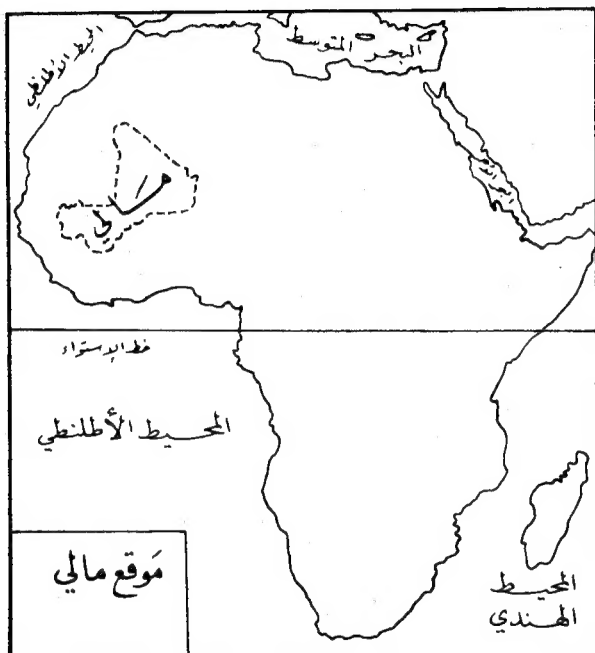
لهذا كله لا بد لنا وقد بدأت تعود إلينا الحياة من جديد من أن نرفض ما صنعه الاستعمار ، ونطرح بعيداً ما قام على العصبيات والتقوقع في أجزاء صغيرة لتستطيع الأمة أن تؤدي واجبها وتقوم بهستها في الحياة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وتجاهد في سبيله •

وكان من واجبننا التعريف بأجزاء الأمة الواحدة فإن المعرفة مدعاة إلى الوحدة ووسيلة ليناصر بعضنا بعضاً ويدعمه •

وقد قسمنا الموضوع إلى أربعة أقسام تحدثنا في الأول عن الجغرافية ، وتكلمنا في الثاني عن التاريخ ، وبحثنا السكان في القسم الثالث ، وأعطينا لمحة عن الاقتصاد في الجزء الرابع •

وقد حرصنا في هذه الدراسة على الاختصار قدر الامكان ، فهي تعريف بهذه المواطن أكثر من أن تكون دراسة •

نسأل الله التوفيق وسداد الخطأ وهو نعم المولى ونعم النصير •



مع الجغرافية

مالي

إحدى دول غربي إفريقيا الكبرى إذ تبلغ مساحتها ١٢٠٤ر٠٠٠ كيلومتر مربع • وتجاورها كل من موريتانية والجزائر والنيجر وفولتا العليا وساحل العاج وغينيا والسنغال •

السطح : تتألف أراضي مالي من هضبة مكونة من الغرائت والصخور الرملية ، ولا يزيد ارتفاعها بوجه عام على ٥٠٠ متر ، تستوي في أقسامها الشمالية والشمالية الغربية فتبدو كسهل فسيح منبسّط تسوده الكثبان الرملية المسماة « ثمورما » والأراضي الحصوية • في حين ترتفع في أجزائها الشمالية الشرقية قرب حدود الجزائر والنيجر ، وتعد هنا امتداداً لمرتفعات « الهكثار » ويطلق عليها اسم هضبة « أدرار » وكذلك ترتفع في جهاتها الجنوبية والجنوبية الغربية قرب حدود غينيا وساحل العاج حيث تكون نهاية السفوح الشمالية لمرتفعات (فوتاجالون) المشهورة في غربي إفريقيا • ويفصل بين هذين القسمين من المرتفعات الجزء الأوسط من الهضبة المستوية المعروفة بهضبة (ماندينغ) والتي يجري فيها نهر النيجر • وتنحدر المياه نحوه من كلا الجانبين • وتكون أخفض نقطة في الوسط عند مدينة (تومبوكتو) تقريباً ، ثم تنحدر باتجاه الجنوب الشرقي مع مجرى النهر ، وفي المنطقة المنخفضة تكثُر

المستنقعات وبخاصة في الصيف وتختلط مياه نهر النيجر مع رافده نهر باني ، وتشكل بحيرات أو بركاً تشغل مساحات واسعة مثل « دابو » و « دو » و « كورارو » و « فاغوييني » وكلها جنوب غربي « تومبوكتو » •

ويجري نهر السنغال نحو الشمال الغربي مع انحدار قليل للأرض • ويكون بين المجريين مرتفع وئيد من الأرض ، هو جزء من هضبة « ماندينغ » •

وتكون بعض المناطق المنخفضة في الشمال والمعلقة تؤول إليها بعض السيول مثل « الحريشة » في المثلث الواقع بين الجزائر وموريتانية ، وبالقرب منها « تاؤدني » أيضاً • وهي جزء من سهول « تانزورفت » الممتدة على مساحات واسعة في شمال البلاد وجنوبي الجزائر •

أما جنوبي الصحراء فنجد سهول « الأسواق » شمال حدود النيجر حيث وادي « الأسواق » الذي يجري من هضبة « اير » في النيجر ومرتفعات « الهكّار » في الجزائر • اثم سهول « أزواد » شمالي مدينة « تومبوكتو » •

المناخ : تمتد بلاد مالي بين خطي عرض ١٠ - ٢٥ ° شمالاً أي أنها تقع ضمن نطاقين كبيرين هما النطاق السوداني ١٠ - ١٨ ° ، والنطاق الصحراوي ١٨ - ٢٥ °

١ - الاقليم السوداني : ويمتد على قسم كبير من البلاد ، ويقسم هذا الاقليم الى قسمين بخط العرض ١٥ ° وهما :

أ - شمالي : متاخم للصحراء ، ويمتاز بشدة الحرارة وقلة الأمطار التي لا يزيد متوسطها على ٢٥٠ مم ، تهطل خلال فصل الصيف ، كما أنها تتناقص كلما اتجهنا شمالا ، وتقل مدتها فلا يهطل في مدينة تومبوكتو أكثر من ١٠٠ مم في شهري تموز وآب فقط .

ب - جنوبي : ويشمل الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد ، إذ أن مالي تتألف من جزئين يشبه كل منهما مثلاً ويلتقي رأساهما في الوسط حيث تضيق البلاد بين موريتانيا وفولتا العليا : الأول منهما في الجنوب الشرقي ويشمل هذا القسم أعالي النيجر والسنغال ، كما أنه يؤلف الجزء الجنوبي من الاقليم السوداني أي جنوبي خط العرض ١٥° ، وتتراوح كمية المطر بين ٢٥٠ - ٥٠٠ مم تهطل خلال سبعة أشهر تمتد من نيسان الى نهاية تشرين الأول ، وتكون الأشهر الأخرى جافة ، والحرارة دائمة تقريباً ولكن تبلغ شدتها في أواخر مدة الجفاف أي في نهاية شباط وآذار .

وتزداد الأمطار في الأقسام الجنوبية والجنوبية الغربية فيبلغ معدلها من ٧٥٠ - ١٢٠٠ مم حيث تكون المنطقة مرتفعة نسبياً ، وكذا تزداد الأمطار في جزء من المناطق الغربية الى الغرب من مدينة (كايس) حيث تكون بلاد السنغال منخفضة فتصل اليها الآثار البحرية مباشرة .

ومن المعلوم أن العرب يطلقون على المناطق التي تزداد الأمطار فيها جنوبي الصحراء باسم الساحل نتيجة وجود المياه وهذا ما ينطبق على الاقليم السوداني في جزئه الجنوبي .

المياه : يرتبط نظام وغزارة الشبكة المائية في مالي بالأمطار

ارتباطاً واضحاً ، حيث تزدداد هذه الغزارة في فصل الأمطار وهو الصيف وتشح حتى تكاد تنعدم في فصل الشتاء وهو وقت الجفاف ، فنهر النيجر الذي يعد أهم مجرى مائي في البلاد ، تبلغ غزارته في مدينة (تومبوكتو) في الصيف ٣١٠٠٠ ر٣ / ثا بينما لا يزيد في فصل الجفاف على ٣١٠٠ / ثا .

ينبع نهر النيجر من مرتفعات (فوتاجالون) في غينيا غير بعيد من حدود « سيراليون » ، ويتجه نحو الشمال والشمال الشرقي ، وما إن يدخل حدود مالي حتى يتلقي مياه رافده الأول (سائكاراني) عند مدينة (كائجابا) ، وينبع هذا الرافد من هضبة (فوتاجالون) أيضاً ، ويسير نحو الشمال ليشكل الحدود بين غينيا ومالي .

يتابع النهر جريانه نحو الشمال الشرقي فيمر بالعاصمة (بوماكو) ، ثم بمدينة (سيفو) ويكون بدءاً من باماكو موازياً لرافده نهر (باني) .

ينبع نهر (باني) من هضبة (فوتاجالون) في ساحل العاج من فرعين هما : (باؤليه) و (باغوي) ثم يرفدهما نهر (بانيغنج) ، ويجري نهر (باني) نحو الشمال الشرقي وبدءاً من مدينة (جني) تختلط مياه نهري النيجر وباني في عدد من التفرعات وبخاصة في الفصل المطير ، ويمر نهر باني بمدينة موبتي .

وتشكل مياه النهرين عدداً من البحيرات والمستنقعات جنوب غربي مدينة (تومبوكتو) ، وتزداد مساحة هذه المستنقعات

• والبحيرات في فصل الأمطار •

يتجه نهر النيجر بعد مدينة (تومبوكتو) نحو الشرق حيث تبدأ المناطق بالارتفاع ، فيمر بمدينة (بامبا) و (بورم) وبعد يتجه نحو الجنوب الشرقي فيمر بمدينة (غاو) وعندها يتلقى سيلا عظيما هو سيل (تيلمسي) ، ثم يدخل في حدود النيجر فيمر بالعاصمة (نيامي) ، ثم يتابع سيره نحو الجنوب الشرقي فيشكل الحدود بين النيجر والداهومي ، ثم يدخل حدود نيجرية وتكون المناطق قد ازدادت الأمطار فيها بالاقتراب من المنطقة الاستوائية ، لذا تكثر روافده وبخاصة من جهة اليسار ، وأخيراً يصب في المحيط الأطلسي بعد أن يشكل دلتا واسعة •

وربما كان وادي (تيلمسي) هو الذي حفر مجرى نهر النيجر بعد مدينة (غاو) وعمقه ثم استطاع أن يأسر مياه البحيرة الواسعة التي كانت مياه نهر النيجر تنتهي فيها ، أو أن البحيرة قد فاضت مياهها فصبت في وادي (تيلمسي) ، وحفرت المنطقة الفاصلة بين الوادي والبحيرة فاندفعت المياه في الوادي واستمر نهر النيجر في الوادي •••

وهناك أودية أخرى جافة تنحدر من منطقة (أدرار) و (اير) وتجري سيولها نحو حوض النيجر ، وأهم هذه الأودية ، وادي (زغارات) ووادي (الاسواق) ، وتؤول سيولها إلى نهر النيجر في بلاد النيجر قبل وبعد (نيامي) •

يبلغ طول نهر النيجر من منبعه إلى مصبه ١٥٠٠ كم ، يجري

نصف هذه المسافة تقريباً في بلاد مالي • وإن مياه البحيرات والمستنقعات تذهب بالتبخر ، ولا يجري من مياه هذه الفيضانات الى النيجر وراء (تومبوكتو) إلا القليل •

ويوجد على نهر النيجر خزان كبير لتنظيم مياه الفيضانات وتوفير مياه الري ، ويقع شمال شرقي مدينة (سيغو) عند مدينة (سانساندينغ) ، ثم أقيم سد آخر بعد الأول عند مدينة (ماركالا) ولا تزيد المسافة بين المشروعين على عشرة كيلو مترات •

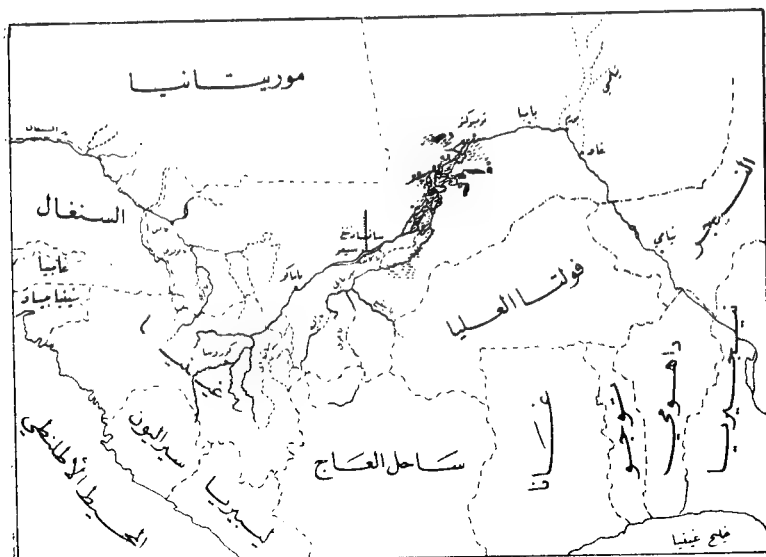
ويصلح نهر النيجر للملاحة فيصل بين مدينة (كوروسا) في غينيا و (باماكو) عاصمة مالي • وتنقطع هذه الصلاحية للملاحة مسافة ١٥ كيلو مترا شمال باماكو ، ثم تعود بين (كوليكورو) ومدينة (انسونغو) بعد مدينة (غاو) قبل الحدود مع النيجر بثلاثين كيلو مترا تقريبا •

أما النهر الثاني فهو نهر (السنغال) وينبع من هضبة (فوتاجالون) في غينيا ، ويسير نحو الشمال الشرقي فيدخل أراضي مالي ، ويتابع جريانه حتى مدينة (بافولابي) ويعرف في هذا المجرى باسم نهر (بافينغ) وعند المدينة المذكورة يرفده نهر (باكوي) الذي ينبع أيضاً من غينيا وتأتيه مياه من مالي ، ويعرف النهر بعدها باسم « السنغال » ويمر بمدينة (كايس) متجها نحو الشمال الغربي ، وبعد (كايس) ترفده مياه قادمة من مالي وموريتانيا وبعد ذلك يدخل في أراضي السنغال •

النبات : تنمو نباتات شوكية في المنطقة الصحراوية • كما

تنمو في منطقة باماكو وبخاصة في المنطقة الفاصلة بين النهرين نباتات عشبية هزيلة، وتنقلب الى شجيرات تلتهمها الحرائق في نهاية الفصل الجاف ، وتتجمع أحياناً بعضها مع بعض لتشكل شبه غابة يبدو عليها أثر الجفاف ، وتكثر فيها الحيوانات والحشرات الكبيرة من نوع (نمل التروميت) •

أما على امتداد المجاري المائية فتتنمو غابات كثيفة وهو ما يعرف بالغابات الرواقية ، وتنتشر كذلك أشجار كبيرة مبعثرة مثل (الأكاسيا - البأواباب - النخيل الزيتي - والأشجار الشوكية) هذا الى جانب شجرة (الطرفاء) التي يؤكل ثمرها ، ويستخرج من بذورها مواد دهنية تسمى محلياً (كاريتي) •



مَعَ النَّاسِ

بعد أن فتح المسلمون بلاد المغرب ووصل عقبة بن نافع الى ساحل المحيط الأطلسي عام ٦٠ هـ ، انحدر عقبة الى اقليم السوس الأدنى (حوض نهر السبي) ، واقتصر على قبيلة (مصمودة)^(١) البربرية ، ومضى قدماً حتى بلغ مدينة (مامسة)^(٢) في بلاد السوس الأقصى ، وغزا مدينة (نفيس)^(٣) القريبة من مدينة (أغمات)^(٤) ، واستمر في تقدمه على ساحل المحيط الأطلسي حتى وصل الى بلدة (نول)^(٥) في أقصى بلاد المغرب حيث كانت بعض قبائل (الملثمين)^(٦)

- (١) مصمودة : قبيلة بربرية تنتسب الى البرانس الذين تنتمي إليهم كبرى قبائل البربر مثل : صنهاجة وكتامة ولطة ومصمودة .
- (٢) مامسة : مدينة على ساحل المحيط الأطلسي ، في أول بلاد السوس الأقصى ، في شمال (اغادير) اليوم ، وهي غير موجودة الآن .
- (٣) نفيس : مدينة تقع في جنوب مدينة (مراکش) وباسمها نهر يرفد نهر (تنسيفت) الذي تقع عليه مدينة مراکش .
- (٤) أغمات : مدينة تقع جنوب شرقي مراکش ، تشرف على الممرات الجبلية ومن هنا جاءت أهميتها العسكرية . وهي للمصامدة ، تكثر فيها الخيرات حتى لتعد من أغنى بلاد المغرب . بينها وبين مراکش ثلاثة فراسخ .
- (٥) نول : مدينة على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى بلاد السوس ، وهي حاضرة قبيلة (لطة) .
- (٦) الملثمون : فرع من صنهاجة ، وقد عرفوا بذلك لأنهم يضعون

تنزل فيها ، واستطاع عقبة إخضاعها لسلطان الاسلام . وفتح بعد ذلك (مسوفة) ، وبنى فيها مسجداً ترك فيه من يعلم الناس مبادئ الاسلام . وفي هذه الاثناء دخلت قبيلة صنهاجة التي كانت تقيم في المغرب الاسلام . وبهذا وصل عقبة بن نافع الى أطراف الصحراء ، وفتح الطريق للاسلام كي ينتقل الى بلاد السودان حيث كانت القبائل تنتقل عبر الصحراء بين السودان وبلاد المغرب . ولكن هذه الجهود كادت تضيع إذ استشهد صاحبها أثناء عودته الى القيروان ، في اكمين فصبه له سكان جبال (اوراس) ^(١) بالقرب من (تهودة) ^(٢) عام ٦٢ هـ .

ارتدت قبائل البربر بعد استشهاد عقبة عن الاسلام ، ودخلت مدينة القيروان ، وجرت معارك كبيرة بين الطرفين ، برز فيها من البربر (كسيلة) و (الكاهنة) ^(٣) ، وقد اُقتل الأول على يد زهير بن

اللاثام ليلا ونهاراً حضراً وبدواً ، ولعلمهم اتخذوه اتقاء للبرد والحر ، واتقاء من رمال الصحراء ، أو خلسة وتنكراً في الحروب . ومن أشهر قبائل الملثمين (لمتونة) و (جدالة) .

(١) أوراس : جبل بأرض إفريقية فيه عدة بلاد وقبائل من البربر ، ويقع اليوم في شرقي الجزائر .

(٢) تهودة : قبيلة من البربر بناحية إفريقية ، لهم أرض تعرف بهم .

(٣) الكاهنة : وتدعى دهيّا بنت مانيا من زناتة . وزناتة قبيلة بربرية تُنسب الى « البتر » الذين منهم نفوسة واداسة وزناتة ، وهم الذين يقابلون البرانس الفرع الثاني من البربر .

قيس البلوي^(١) ، وقتلت الثانية على يد حسان بن النعمان^(٢) عام ٧٨ هـ . وبعد ذلك تسلم موسى بن نصير^(٣) قيادة الفتح عام ٧٩ هـ . ووصل الى وادي (دراعة)^(٤) في أقصى بلاد السوس الأقصى ، والى الاماكن التي كان قد بلغها عقبة بن نافع من قبل وأخضع القبائل التي ارتدت عن الاسلام بعد مقتل عقبة .

- (١) زهير بن قيس البلوي : يقال : إن له صحبه ، شهد فتح مصر ، ولاه أميرها عبد العزيز بن مروان على برقة عام ٦٩ هـ ، فكانت له مع الروم والبربر وقائع ، استشهد في إحداها عام ٧٦ هـ .
- (٢) حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الفساني ، من أولاد ملوك غسان ، من التابعين ، حدث عن سيدنا عمر بن الخطاب ، من المشهورين في الفتوحات الاسلامية . كان يلقب بالشيخ الأمين ولي إفريقية زمن معاوية بن ابي سفيان ثم كان عاملاً على مصر أيام عبد الملك بن مروان ، نزح إلى إفريقية بأربعين ألفاً ، وقتل الكاهنة . اعتزل الاعمال في أول عهد الوليد بن عبد الملك ، وتوجه إلى أرض الروم غازياً ، فتوفي بها عام ٨٦ هـ .
- (٣) موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي بالولاء . أصله من وادي القرى بالحجاز ، كان أبوه (نصير) على حرس معاوية ، نشأ موسى في دمشق ، وولي غزو البحر لمعاوية ، غزا قبرص . وكان على خراج البصرة أيام الحجاج ، واشترك في غزو إفريقية ، ثم وليها ، وله شهرة في الفتوحات ، توفي بالمدينة وكان حاجباً بصحبة سليمان بن عبد الملك وذلك عام ٩٧ هـ .
- (٤) وادي دراعة : في أقصى السوس . يشكل جزءاً من الحدود المغربية الجزائرية . يصب في المحيط الأطلسي ، وعليه مدينة صغيرة تعرف باسم (درعة) . يقول صاحب المعجم إن أكثر تجارها من اليهود ، وأكثر ثمرتها القصب .

كان موسى بين نصير أبعد نظراً من عقبة بن نافع ، إذ عمل موسى على تقريب البربر اليه ، وولاهم الأعمال وأشركهم مع العرب في إدارة البلاد ، ووجد البربر أن انضمامهم الى العرب يتيح لهم مزايا مادية كثيرة ، وأخرى معنوية ، فأقبلوا على الاسلام إقبالا عظيماً ، ولما عرفوا ما فيه كان إقبالهم عليه غاية بجد ذاته ، لا لمنافع مادية أو مصالح شخصية • وأخذ موسى يفقه الناس في الدين ، ويبنى المساجد في كل البلاد التي فتحها ، وبهذا اتيح للبربر أن يجنوا ثمار الثقافة الاسلامية ، وأن ينهلوا من مناهل الحضارة الاسلامية •

انقاد المغرب الاقصى بشعوبه وقبائله لموسى بن نصير ، وشاركوه في فتح الاندلس ، وأخذت جماعات كثيرة من قبائل البربر المختلفة تندفق اليه طمعاً في الفائدة أو حباً في الجهاد بعد أن دانت بالاسلام ، واتصلت به قبائل الملثمين التي تنتشر في اقليم الصحراء الكبرى حتى حدود السودان الشمالي ، فدعاهم للاسلام فأقبلوا عليه ، ودانوا به ، فبنى المساجد في مدينة (أغمات) التي غدت من أهم مراكز الثقافة الاسلامية في المغرب الاقصى وعلى حدود الصحراء •

وتابع خلفاء موسى السياسة الرشيدة التي اتبعها فقاموا بالدعوة الى الاسلام بين البربر ، إذ عمل (اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر)^(١) والي إفريقية من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز

(١) اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي بالولاء ، كان فقيهاً

رضي الله عنه على نشر الاسلام في المغرب الاقصى حتى لم يبق في ولايته يومئذ أحد إلا وقد أسلم . كما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز طائفة من التابعين اتشروا في المنطقة يحثونهم على الاسلام ويبصرونهم بشؤون دينهم .

وقام بعد ذلك عبد الرحمن بن حبيب الفهري^(١) بحفر سلسلة من الآبار تصل بين واحات إفريقية وبين مدينة (اودغشت)^(٢) بصحراء المغرب الأقصى ، واستطاع جنوده بفضل هذه السياسة أن يعبروا الصحراء وأن ينشروا الاسلام بين القبائل الضاربة فيها ، كما أصبحت القوافل بفضل هذه الطريق الصحراوية التي أصلحها

فاضلا ورعا . استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم ويفقههم في الدين سنة ٩٩ هـ فأسلم على يديه عدد كبير من البربر ، وهو أحد العشرة من كبار التابعين ، توفي بالقيروان عام ١٣٢ هـ .

(١) عبد الرحمن بن حبيب الفهري : عرف بالصقلي الطوله وزرقة عينيه وشقرته ، كان بإفريقية أيام استيلاء عبد الرحمن الداخل الأموي على الأندلس ، فقاومه ودعا إلى بني العباس ، قتل غيلة عام ١٤٢ هـ .

(٢) اودغشت : مدينة قديمة غير موجودة الآن ، تشبه مكة المكرمة حيث تقع بين جبلين حسب رأي ياقوت الحموي ، وكانت تعد من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في غربي إفريقية . تقع بين خطي عرض ١٨ و ١٩ شمالا أي في بلاد موريتانيا ، كانت محطة تجارية ثم حاضرة قبيلة المتون من صنهاجة ، ويقال إن أهلها أسلموا على يد المهدي عبيد الله في أواخر القرن الثالث الهجري وكانوا كفارا يعظمون الشمس ويأكلون الميتة والدم .

عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، والطريق الساحلية الأخرى القديمة .
أكثر إمكانية للتحرك نحو غربي إفريقيا حاملة معها بالإضافة الى
التجارة العقيدة الاسلامية .

بعد هذه الجهود بدأ الاسلام يصل الى منطقة السودان ،
وينتشر بين أفراد القبائل هناك عن طريق التجارة . وهي قديمة بين
منطقة البحر الأبيض المتوسط ومنطقة السودان ، فلما انتشر الاسلام
في الشمال بدأ ينتقل مع التجارة الى الجنوب .

ويقال إن بني أمية قد أرسلوا جيشاً إلى داخل إفريقيا بقصد
فتح السودان ، وقد استقر عدد من أفرادهم في تلك المنطقة ، وذلك
في عام ١٠٢ هـ أي في عهد يزيد بن عبد الملك بن مروان .

وفي عام ١٧٢ هـ قامت دولة الادارسة^(١) في بلاد المغرب
الأقصى ، فوجهت أنظار أهل المغرب الى الجهاد بقصد العمل على
نشر الاسلام ، ووصل نفوذ الادارسة الى الصحراء الكبرى التي
تفصل بلاد المغرب عن السودان ، وكان تأسيس مدينة (فاس)

(١) أسس هذه الدولة ادريس بن عبد الله بن الحسن بن
الحسن بن علي بن ابي طالب ، وهو أخو محمد ذي النفس الزكية
الذي خرج على العباسيين في المدينة كما خرج أخوه الثاني
وهو ابراهيم في البصرة في العام نفسه ، أما هو فقد نجح ، وأخوه الثالث
يحيى من معركة فتح في المدينة ، وكانا مع الحسين بن علي بن الحسن .
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب أيام ثورته على الهادي .
العباسي عام ١٦٩ هـ . ثم قتل الحسين ، فانهزم ادريس الى مصر
فالمغرب ، أما يحيى فقد ذهب الى بلاد الديلم ، وأسس فيها دولة
ايضا .

لنشر الثقافة الإسلامية فاتحة عهد جديد في تاريخ انتشار العلم في المغرب وغربي إفريقيا •

انضمت ديار الملثمين تحت لواء الأدارسة وأصبحت جزءاً من أملاكهم ، لذلك زاد تحول قبيلة صنهاجة الى الاسلام الذي بدأ في عهد عقبة بن نافع وزاد في عهد الادارسة وبخاصة في القرن الثالث الهجري ، وكان إسلامهم ذا أثر بالغ في تاريخ المغرب والسودان ، فقد نتج عنه قيام تحالف قوي ضم قبائل الملثمين جميعاً بزعامة قبيلة (لمتونة) فلما تم هذا التحالف بدأ العمل للقيام بتوسع جديد ، ولا يمكن أن يكون هذا التوسع نحو الشمال بسبب قوة الادارسة وحلفائهم من (زناتة ومصمودة) ، لذا لم يبق أمام الحلف إلا أن يتجه نحو الجنوب بقصد الجهاد والعمل على نشر الاسلام بين القبائل الزنجية الضاربة في جنوب بلادها • ومما شجع هذا الحلف على الاتجاه جنوباً ان مملكة غانة في منطقة السودان كان قد اصابها الضعف بسبب الاغارات المتكررة عليها من الجنوب • وكان لهذا التوسع أثره البالغ في تدفق المسلمين نحو الجنوب في بلاد السودان • فاستولوا على مدينة (اودغشت) واتخذوها قاعدة لهم وفرضوا الجزية على اهلها من المغلويين • الا ان حلفهم قد تفككت عراه عام ٣٠٦ هـ ، مما جعل غانة تستعيد مدينة اودغشت واكتفت بها دون ماحولها حيث تستطيع منها التحكم بطرق التجارة المعروفة انذاك بين بلاد السودان والمغرب وسجلماسة ، ولكن عاد الحلف بين الملثمين المسلمين فاستعادوا اودغشت عام ٣٥٠ هـ ثم لم يلبثوا ان تركوها ثانية لغانة ، وهذا الاحتكاك بين السودان والمسلمين قد سهل انتشار الاسلام بين الزنوج •

امبراطورية غانة

في الوقت الذي كان الاسلام ينتشر من الشمال كان يقيم في منطقة السودان في غربي افريقية قبائل زنجية ، وكانت أكبر هذه القبائل وأكثرها انتشارا قبيلة « الماندينغ » ومعناها الذين يتكلمون لغة الماندي . ولهذه القبيلة أسماء كثيرة الآن فالفولاني يسمونهم « مالي » ، ويدعوهم العرب « مليل » أما البربر فيطلقون عليهم اسم « مليت » ويعرفهم الهاوسا باسم « وانقارا »

وهذه الجماعة لها عدد من الفروع الكبيرة، وغدا كل فرع كأنه قبيلة خاصة أو هكذا يظن بعضهم ، كما يظن بعضهم الآخر أن أسماء القبيلة الكثيرة يدل كل اسم على شعب معين .
ومن أشهر هذه الفروع - السونكي - والبمبارا - والديولا - .

وإذا كان شمال شرقي مالي منطقة صحراوية انتشر منها الاسلام عن طريق القبائل وانتقالها بين الشمال والجنوب فان جنوب غربي مالي منطقة سودانية وافرة المياه فقامت فيها ممالك متعددة ودخلها الاسلام بطرق مختلفة .
وكانت هذه الممالك موزعة تسيطر احداها على جميعها

عندما تزداد قوتها ، ولا تقضي عليها ، وانما تكتفي بفرض الجزية ، فاذا قويت عادت وسيطرت على غيرها ، واصبحت المحكومة بالامس حاكمة اليوم ومسيطرة ، وقد تعود دولة منها للنهوض مرة ثانية مادام لم يقض عليها ، ولما كانت كل مملكة تسيطر على عدة ممالك لذا سميت امبراطوريات بالاصطلاح الحديث . وكان أول الامبراطوريات التي قامت في المنطقة « امبراطورية غانة » .

ففي القرن الاول الميلادي استطاعت جماعة من البيض جاءت من الشرق أو من شمال افريقية وبخاصة من برقة^(١) أن تسيطر على جماعة - السونتي - وان تؤسس أول حكومة في تلك المنطقة وقد كان مقرها مدينة كومبي صالح التي تقع بين نهري السنغال والنيجر ، في منطقة - اوكار - ، وقد اتسع نفوذ هذه الدولة فشمّل مناطق واسعة بين اعالي نهري السنغال والنيجر ،

(١) ان منطقة جنوب غربي اسباني موطن البشر - على اغلب الظن - ومنها انتقل الانسان الى بقية الجهات . . وليس كما يتوهم بعضهم فيعد ان الجنس الفلاني او العنصر الفلاني وجد في منطقة كذا فيخيل للقاريء انه خلق هنا ، وبالتالي فكان اصولا متعددة للبشر وهذا ما يخالف الواقع ويناقض ما جاءت به العقائد . اذن فقول جماعة ما انها انتقلت من الشرق او جاءت منه امر محتمل ولا غرابة فيه ، هذا مع العلم ان كثيرا من الجماعات البشرية تدعي ان اصولها من بلاد العرب لتربط نفسها بالعرب حملة الرسالة الاسلامية من باب الفخر والتبرك .

وكلمات تعتمد على الزراعة اضافة الى التجارة التي اشتهرت بها وبخاصة الذهب ، حيث عرف ملوكها باسم ملوك الذهب ، اما الدولة فقد عرفت باسم امبراطورية غانا .

وفي القرن الثاني الهجري استطاع السونكي طرد الجماعة البيضاء من البلاد ، وتأسيس أسرة حاكمة بقيت في السلطة حتى دخل المرابطون المنطقة عام ٦٩٩ هـ . أما الجماعة البيضاء فقد اتجهت نحو بلاد التكرور واختلطت مع السكان ، ولم تعد بيضاء مع الزمن نتيجة البيئة والحرارة والاختلاط مع الزنوج ، واستطاعت هذه الجماعة ان تقيم هناك سلطة سياسية تحكم المنطقة وهذه الجماعة هي التي اشتهرت فيما بعد باسم الفولانيين ، واستمرت في حكمها لبلاد التكرور حتى القرن الخامس الهجري .

استطاعت الاسرة السونكية ان توسع نفوذها ، وان تسيطر على مدينة « اودغشت » وهي حاضرة قبيلة لمتونة التي هي فرع من صنهاجة ، وكانت فيها حكومة ذات نفوذ من هذه القبيلة ، وكان ذلك عام ٣٨٠ هـ . وضع ملك غانا على اودغشت حاكما من السونكي ، اضافة الى انه في بعض الاحيان كان يقيم منها حكام غانا أي انها اصبحت المركز الثاني لحكام غانا . وقد عملت امبراطورية اودغشت في ايام قوتها على نشر الاسلام بين الزنوج وبخاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وكانت تجارة الملح هي الرئيسية وتنقل الى بلاد غانا . وقد اتسعت هذه الامبراطورية كثيرا حتى شملت المنطقة الواقعة بين اعالي نهر السنغال والنيجر كلها من جهات الجنوب

والشرق والغرب اما من ناحية الشمال فقد امتدت حتى بلاد
البربر او نستطيع ان نقول : انها شملت أجزاء من موريتانيا
والسنغال وغينيا ومالي في العصر الحديث .

كانت امبراطورية غانا تشمل عدة ممالك أو مناطق على كل
منها ملك أو وال ، وكان الحكم في بعض المناطق وراثيا . ومن هذه
الممالك التي كانت قائمة :

اوكار : وهي قاعدة الحكم لامبراطورية غانة ، وتقع
بين وادبي النيجر والسنغال الاوسطين ، وهي :

اليوم في جنوبي موريتانيا وشمال مالي .

هود : في غربي ولاته ، وتقع اليوم في موريتانيا الجنوبية .

ديارا : الى الشرق من نهر السنغال الاوسط .

بامبوك : على نهر السنغال الى الغرب من ديارا .

التكارنة : وهي في حوض السنغال الاسفل .

تاغانت : عند اودغشت ، وهي في موريتانيا اليوم .

ونقارة : في أعالي نهر السنغال ، وتقع في مالي .

كانياغا : في الجنوب عند أعالي نهري النيجر والسنغال وهي

امركز - الصوصو - ، وتقع في مالي على نهر

النيجر ، شمال شرقي (باماكو) .

باسيكور : شرقي العاصمة (كومبي صالح) ، وبينها وبين

منطقة ماسينا على نهر النيجر .

كانجبا : عند أعالي نهر النيجر ، وهي مركز الماندينغ (مالي) .

البامبارا : وهم من الماندينغ و يقيمون الى الشرق من كانجابا .
الممالك البربرية : في الشمال مثل ممالك لتونة وجدالة ،
وكانت كلما قويت دولة سيطرت على الممالك الثانية .
وكان الحكم فيها ينتقل الى ابن الاخت .

من كل ماتقدم يدل على ان الاسلام قد انتشر في هذه المنطقة
بل تذكر بعض الروايات ان احد ملوك غانا قد اعتنق الاسلام عام
٢٢٣ هـ ، وهو (بولاتان) بل وشن حربا دينية ضد جيرانه من
الوثنيين .

ومما زاد في انتشار الاسلام اعتناقه من قبل ملك التكرور
الذي دخل فيه عام ٤٣٢ هـ . ولكثرة عدد المسلمين في امبراطورية
غانا فقد اصبح لهم مركز وحرية في العبادة ، حتى لقد كانت لهم
مدينة خاصة بهم بالقرب من العاصمة أو بالاحرى نصف العاصمة،
وان الملك بنى مسجدا في عاصمته ليؤدي فيه من يزوره من
المسلمين عبادته ، بل وان عددا من الوزراء كانوا من المسلمين
اضافة الى ان المسلمين هم الذين كانوا يتولون امر بيت المال
والترجمة يقول البكري : « ومدينة غانه مدينتان سهليتان ،
احدهما التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر
مسجدا ، احدها - يجمعون فيه - اي يقيمون فيه صلاة الجمعة
- ولهم الائمة والمؤذنون ، وفيها فقهاء ، وحملة علم ، وحواليها
آبار عذبة ، منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات .

ومدينة الملك على ستة اميال من هذه وتسمى «الغابة»^(١) ،
 والمسالك بينهما منفصلة ، ومبانيهم من الحجارة وخشب السنط
 وللملك قصر وقباب وقد أحاط بذلك كله حائط كالسور . وفي
 مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين ، على مقربة
 من مجلس حكم الملك ، وحول مدينة الملك قباب وغابات يسكن فيها
 سحرتهم ، وهم الذين يقيمون دينهم ، وفيها دكاكيرهم — الدكور
 هو الصنم — وقبور ملوكهم . ولتلك الغابات حرس ، ولا يتمكن
 أحد من دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهناك سجون الملك ، فاذا
 سجن فيها احد انقطع عن الناس خبره »^(٢) .

ويبدو ان المنطقة كانت آنذاك أكثر أمطارا فكانت هناك
 أودية وروافد تجري نحو نهر النيجر ، وتقع العاصمة (كومبي
 صالح) على احد هذه الروافد ، وربما تجمعت المياه في مناطق
 منخفضة وشكلت بحيرات ، وقد تكون بحيرة (فاجوين) **Faguibine**
 في غربي مدينة تومبوكتو الحالية بعض آثارها .

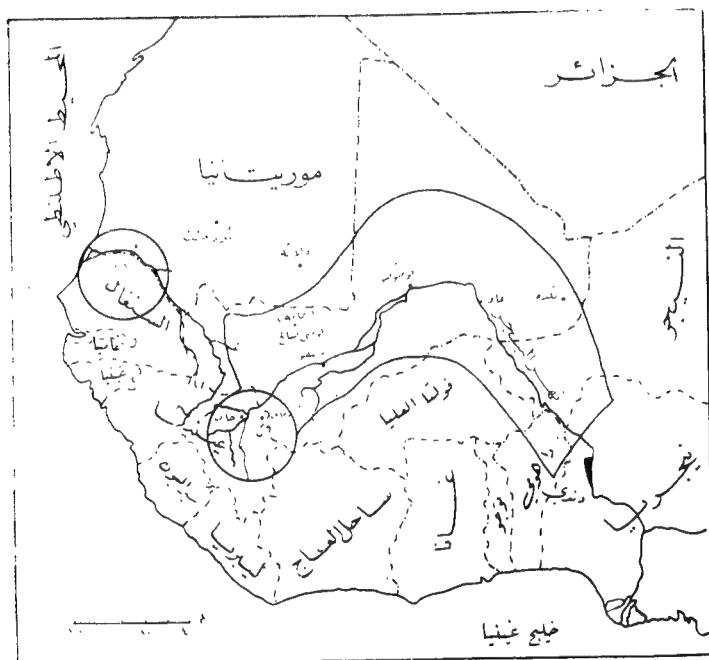
يقول الادريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق :
 « غانة مدينتان على ضفتي البحر الحلو ، وهي أكبر بلاد السودان
 قطرا ، وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا » . ويقول كذلك عندما
 يتحدث عن السكان « ولهم زوارق يتصيدون فيها ويتصرفون بين

(١) الغابة : مدينة الملك اوعرفت هكذا لكثرة الأشجار التي

كانت تحيط بها ، وترتفع بين بيوتاتها .

(٢) المغرب ص ١٧٤ - ١٧٥ .

المدينتين بها » ويقول القلقشندي « إنها مدينتان على ضفتي نيلها ،
 إحداهما يسكنها المسلمون ، والثانية يسكنها الكفار » • ويقول :
 البكري « وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله
 وأكثر وزرائه » •



إسلام امبراطورية غانة

كانت الأعمال الحربية مستمرة — كما ذكرنا — بين امبراطورية غانه والحلف القائم بين قبائل الملثمين في الشمال ، إلا أن هذا الحلف لا يلبث أن يتصدع فتقوى عليه غانة ، وتستعيد مدينة (اودغشت) ، وتقتل زعيم (لمتونة) التي تتولى رئاسة الحلف ، أمام هذه الهزيمة تخلت لمتونة عن زعامة قبائل الملثمين ، وتتولى ذلك قبيلة (جدالة) ، وتقف في وجه غانة ويبدو أن حظ (جدالة) في القتال كان أفضل من خط أختها (لمتونة) وذلك لقرب ديارها من غانة ، ومعرفتها بأحوال تلك البلاد وطبيعتها ، فاستطاعت أن تقف أمام غانة ، وتوقف زحفها نحو الشمال .

كان زعيم (جدالة) في ذلك الوقت (يحيى بن ابراهيم) ، وقد ذهب إلى الحج في تلك الآونة ، وأثناء عودته التقى في القيروان بالفقيه (ابن عمران القاسي) الذي عجب من جهل يحيى وأتباعه بالاسلام ، ورأى أن يرسل معهم مرشد يمكن الاسلام في نفوسهم ويفقههم في الدين ، ووقع اختياره على (عبد الله بن ياسين السجلماسي) .

سافر (عبد الله بن ياسين) مع الركب الجدالي إلى بلادهم ،

واستقر مع بعض تلامذته في جزيرة عند مصب نهر السنغال .
فشيدوا لهم فيها رباطا ، تفرغوا فيه للعبادة ، ودرسوا الجهاد ،
حتى إذا بلغ عددهم ألف رجل خرج بهم للجهاد قائلًا لهم
(اخرجوا على بركة الله ، وأنذروا قومكم ، وخوفوهم الله ،
وأبلغوهم محبته ، فان تابوا ورجعوا إلى الحق ، وأقتلوا عما هم
عليه فخلوا سبيلهم ، وإن أبوا ذلك وتمادوا في غيهم ، ولجوا في
طغيانهم استعننا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا) فكانت
حركة المرابطين المعروفة .

استطاع هؤلاء المرابطون فتح مدينة (اودغشت) عام ٤٤٦ هـ
وانقاذها من مملكة غانة ، ثم حملوا أهلها على اعتناق الاسلام ،
واستشهد (يحيى بن ابراهيم الجدالي) في المعركة التي فتحت فيها
مدينة (اودغشت) ، فخلفه في زعامة المرابطين (أبو بكر بن عمر)
زعيم لمتوفة ، ولم يمض وقت طويل حتم استشهد عالم المرابطين
(عبد الله بن ياسين) في حرب شنت ضد قبيلة (برغواطة) ، وهكذا
بقي (أبو بكر بن عمر) وحده في الميدان ، فاستعان بابن عمه
(يوسف بن تاشفين) الذي أسس مدينة مراکش ، ولكن لم يلبث
أن وقع الخلاف بين الرجلين ، فانصرف يوسف بن تاشفين نحو
الشمال ، وجاز بحر الزقاق إلى الاندلس ، يساعده المسلمين على
أعدائهم الصليبيين ، بينما انكفأ (أبو بكر بن عمر) نحو الجنوب
يعمل على نشر الاسلام بين قبائل الزنوج الوثنية . وكانت هذه
المدة حافلة بدخول الناس في دين الله أفواجا وبخاصة في منطقة
السنغال حيث تحولت أسرة (الفولاني) إلى الاسلام عام ٤٦٩ هـ .

وفي الوقت نفسه كانت امبراطورية غانة قد ضعف أمرها ،
وانكمشت سلطتها ، وتفككت ممالكها ، واستقلت بعض أقاليمها ،
واستطاع المرابطون بمساعدة (التكرور) دخول عاصمة غانة
كومبي صالح عام ٤٦٩ هـ ، وفرض الاسلام على جميع البلاد .
وقبل ملك غانة (تنكامنين) الدخول في الاسلام ، والخضوع لسلطان
المرابطين ، وباسلام الملك دخل الكثير من رعاياه في الاسلام .

ضعف أمر المرابطين ، فاستطاع سكان غانة من السوننكي
الاستقلال عن المرابطين إثر وفاة زعيمهم (أبو بكر بن عمر اللمتوني)
وذلك عام ٤٨٠ هـ ، وأعلن السوننكي الارتباط بالدولة العباسية
مباشرة ، وقد أصبحوا من المسلمين بل وشديدي الحماسة لنشر
الاسلام ، وتفرغ بعضهم للدعوة وأصبحت كلمة « سوننكي »
مرادفة لكلمة داعية عند كثير من قبائل « الماندينغ » وأجبر ملوك
غانة شعوبهم على لبس العمامة ، وادعوا الانتساب إلى الحسن بن
علي بن أبي طالب .

كثرت المساجد ، وعم تعليم القرآن الكريم وقواعد الدين
واللغة العربية ، وألحق كل مسجد بمدرسة ، وغدت اللغة العربية
اللغة الوحيدة للعبادة والثقافة كما أنها لغة التجارة .

ولكن مملكة غانة لم تلبث أن انهارت ، وقامت على أنقاضها
مملكة « الصوصو » ، ولعل من عوامل الاضمحلال الذي أصاب
مملكة غانة الجفاف الذي عم في المنطقة ، فاتتقلت جموع من السكان

والقبائل فحمى الجنوب ، واستقرت في تلك الجهات التي هي أكثر
أمطاراً ، وهذا ما جعل المناطق الشمالية وبخاصة اوكار التي كانت
قاعدتها « كومبي صالح » يقل سكانها ، ويضعف أمر التجارة فيها ،
فيتتركها بعض الاغنياء ويظهر عليها أثر الفقر ونقص الحاجيات التي
كانت تتوفر فيها بكثرة .

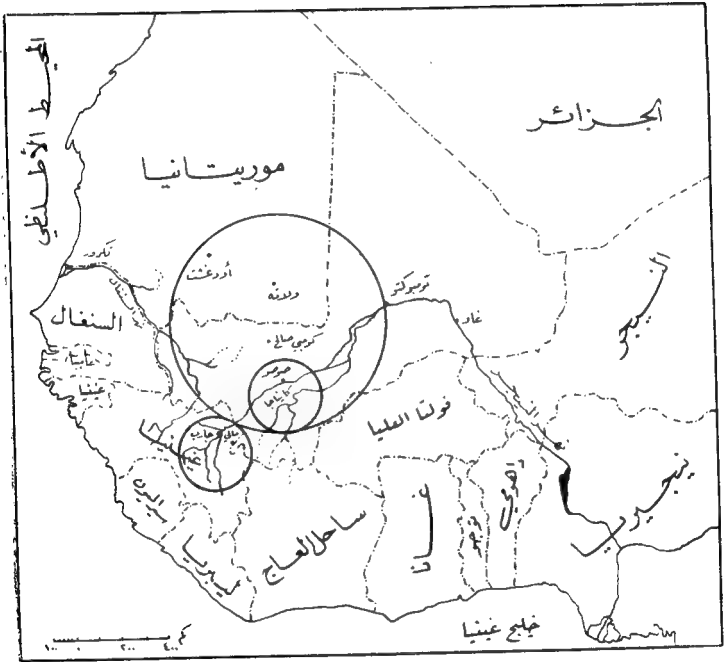
امبراطورية الصوصو

هاجرت جماعة من الفولانيين من بلاد تکرور واتجهت نحو الشرق ، واستقرت في منطقة « كانياجا » واستطاعت بعد مدة من الزمن أن تؤسس طبقة حاكمة ، حكمت شعب « الصوصو » ، وعرفت باسم « امبراطورية الصوصو » .

طمع شعب الصوصو في الاستقلال بعد أن استطاع المراتلون فتح غانة ، فاستقلوا في منطقتهم « كانياجا » ، ثم بدؤوا بالهجوم على عاصمة غانة « كومبي صالح » ، وقد تمكنوا من دخولها عام ٦٠٠ هـ ، كما تمكنوا من الاستيلاء على بلاد غانة وضمها الى امبراطوريتهم الناشئة وقد هرب عدد من المسلمين والتجار من مدينة كومبي صالح إلى الصحراء ، وأسسوا مركزا تجاريا جديدا في بلدة « ولاته » على بعد بضع مئات من الكيلومترات إلى الشمال من مدينة كومبي صالح ، وعلى مر الايام فقد نما هذا المركز التجاري ، وأصبح من أهم الاسواق في الصحراء الكبرى . أما مدينة كومبي صالح عاصمة غانة فقد دمرها الصوصو ، ومحي أثرها من التاريخ .

هاجم الصوصو دولة (الماندينغ) في منطقة « كانجايا »

عام ٦٢٨ هـ وقتل ملك الصوصو (سومانجارو) ملك «الماندينغ»
(ناري فامغان) وأولاده جميعا باستثناء الصغير منهم ، فقد تركه
لصغره أو لضعفه ومرضه وهو «سندياتا» أو كما عرف باسم
«ماري جاطه» ، ولكن لم يمض سوى خمس سنوات حتى استطاع
(ماري جاطه) أن يؤسس جيشا قويا ويقوده لقتال الصوصو ،
وتمكن من الانتصار على الصوصو عام ٦٣٣ هـ في معركة فاصلة
قتل فيها امبراطور الصوصو الذي تمزقت امبراطوريته من بعده .
وسار ماري نحو عاصمة غانة القديمة ودمر ما بقي منها عام ٦٣٨ هـ
ولكنه ترك المسلمين الذين فروا من (كومبي صالح) إثر غزو
الصوصو ولجؤوا إلى (ولاته) وأسس (ماري جاطه) مملكة
واسعة عرفت باسم «مملكة مالي» .



مملكة مالي

أعاد (سندياتا) أم (ماري جاطه) دولة مالي ، وهي قديمة حكمتها عدة أسرمها أسرة (تراوري) ومنها أسرة (كيتا) التي قضى عليها الصوصو ثم أعادها (ماري جاطه) ، وكانت تتبع ذلك ، وبدأت تنمو وتتسع ، في ظلها ثم استقلت ، وقضى عليها الصوصو ، ثم أعادها (ماري جاطه) ، وقد نجا من القتل الذي لحق بأبيه وإخوته الأحد عشر ، وكانت هذه الدولة من أعظم الممالك الإسلامية في السودان الغربي في المدة الواقعة بين عام ٦٣٩ هـ إلى عام ٨٩٤ هـ وكانت تمتد فيما بين بلاد بورنو في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب ، وبين جبال البربر في الشمال ونطاق الغابات في الجنوب ، وتشمل من الدول الحديثة أجزاء من موريتانيا والسنغال وغامبيا وغينيا ومالي وساحل العاج وليبيريا وسيراليون .

حكمت هذه الدولة عدة أسر في أيام خضوعها لامبراطورية غانة ومن قبل ، وآخر هذه الأسر أسرة (كيتا) التي ينتسب إليها (ماري جاطه) ، وتدعي هذه الأسرة الانتساب إلى بلال الحبشي رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول نلاحظه في كثير من الحكومات والأسر الإسلامية من باب التبرك ،

إن جد أسرة (كيتا) هو (موسى ديجيو) الذي حكم مالي ٥٩٧ هـ - ٦١٥ هـ ، واتخذ مدينة (جارب) التي تقع على نهر النيجر إلى الجنوب من (باماكو) عاصمة له ، وقضى حياته في التقوى والعمل الصالح ، وربما هو كان المشهور في الكتب العربية باسم (بومندان) ويقول بعض المؤرخين : هذا الرجل الحاكم كان أول من دخل الاسلام من ملوك مالي ، ولكن ابن خلدون يقول : إنه أول من حج إلى مكة المكرمة وليس أول من أسلم .

خلف (موسى ديجيو) ابنه (ناري فامغان) في الحكم ، واستمر حكمه لدولة مالي (٦١٥ - ٦٢٨ هـ) ، وبذل جهودا كبيرة في سبيل نشر الاسلام والدعوة إليه بين قومه ولاسيما بين قبائل (البمبارا) . وفي أواخر أيامه هجم الصوصو على دولته وقضى عليه وعلى أبنائه ونجا منهم (ماري جاطه) - كما ذكرنا - . يعد (ماري جاطه) وارثا لآبيه (ناري فامغان) فقد اتصر على الصوصو عام ٦٣٣ هـ ، وضم إليه أملاك امبراطورية غانة عام ٦٣٨ هـ . وفي العام نفسه نقل عاصمته من (جارب) ^(١) في (كانجابا) إلى مدينة جديدة أنشأها على نهر النيجر (نهر سانكاراني) ^(٢) إلى الشرق من (جارب) وقد سميت (نياني)

(١) جارب : مدينة تقع على نهر النيجر الأعلى جنوبي مدينة (سيجوري) ، وتقع اليوم في دولة (غينيا) .
(٢) نهر سانكاراني : من دوافد نهر النيجر ، ويشكل اليوم جزءا من الحدود بين غينيا ومالي ، ويردف نهر النيجر عند مدينة كانجابا في مالي قريبا من الحدود الغينية على بعد ٦٥ كم منها .

واشتهرت باسم مالي • وأصبحت فيما بعد علما لدولة الماندينغ ،
وأصبحت هذه المدينة مركزا تجاريا هاما إذ يبدأ التجار يفدون
إليها ، ويقيمون فيها ، وبعد عام ٦٣٨ هـ لم يشترك (ماري جاطه)
في الأعمال الحربية ، وإنما كانت جيوشه تصل إلى إمارات الهاوسا
في شمال نيجيرية اليوم وهي (كانو) و (كتسينا) و (زاريا) وإلى
سواحل المحيط الاطلسي وقلب الادغال والغابات في الجنوب كما
تتوغل شمالا في الصحراء •

تولى حكم مالي بعد موت (ماري جاطه) عام ٦٥٣ هـ ابنه
(منسى علي) وكان من أعظم حكام بلاده ، محبا للسلام معروفا
بالتقوى والصلاح ، وقد أدى فريضة الحج عام ٦٥٨ هـ • وفي
أيامه ضمت مالي إليها (بامبوك) و (وانقاره) ، كما بسطت نفوذها
على دولة (صنغاي) الناشئة وأخذت منها عددا من الرهائن لضمان
خضوعها واستسلامها •

توفي (منسى علي) عام ٦٦٩ هـ ، فتعرضت البلاد بعده لفترة
من الاضطراب دامت من (٦٦٩ - ٧٠٧ هـ) تولى خلالها عدد من
الملوك منهم :

١- (منسى علي) شقيق (منسى علي) وسميه حكم من
٦٦٩ - ٦٧٣ هـ •

٢- (خليفة) شقيق (منسى علي) وحكم من ٦٧٣ -
٦٧٤ هـ •

٣- (ابو بكر) سبط من أسباط (ماري جاطه) وحكم من
٦٧٤ - ٦٨٤ هـ •

٤ - (ساركوه) مولى من موالى (أبو بكر) اغتصب
العرش ٦٨٤ - ٧٠٠ هـ . غزا بلاد تكرورو (وانقاره) و (غاو)
عاصمة (صنغاي) ، وفي أيامه عم الرخاء وتوسعت التجارة ، وقد
أدى فريضة الحج عام ٧٠٠ هـ ، وأثناء عودته عن طريق الجبشة
والسودان هاجمته جماعة من الدناقل عند ساحل البحر الأحمر
وقتلوه .

٥ - (منسى قو) وهو ابن (ماري جاطه) وحكم من
٧٠٠ - ٧٠٥ هـ .

٦ - (محمد) ابن (منسى قو) وحكم من ٧٠٥ - ٧١٠ هـ
٧ - (أبو بكر) وحكم من ٧١٠ - ٧١٢ هـ . وهو الذي
سافر بالمحيط الأطلسي ليكتشف ما بعده ، ولم يعد .

وبعده وقعت فتن واضطرابات انتهت بنقل العرش الى أبناء
أخت (ماري جاطة) وكان أولهم (منسى موسى) بن أبي بكر
الملك السابق . وهو الذي يعد من أعظم ملوك امبراطورية مالي ،
صالحاً ورعاً ، يجيد العربية ، أقام علاقات مع الدول القائمة في مصر
والمغرب ، فتح بلاده للمسلمين الفارين من الاندلس . وبلغت دولة
مالي في عهده ذروة مجدها وقوتها واتساعها .

توفي (منسى موسى) عام ٧٣٨ هـ ، وخلفه ابنه (مغان
الأول) أو (منسى مغان) ودام حكمه من (٧٣٨ - ٧٤٢ هـ) ،
وفي عهده عادت الفرقة الى البلاد ، فهاجمت قبائل (الموش) المقيمة
في إقليم (باتنغا) في فولتا العليا البلاد ، وصلت الى (تومبوكتو)
فأحرقتها ، وأبادت حاميتها من الماندينغ .

تولى (سليمان) بن (منسى موسى) عم (مغان الأول) وهو معروف بالتقوى والصلاح والتفقه في الدين ، واستمر حكمه من ٧٤٢ - ٧٦٢ هـ ، وقد استطاع أن يعيد معظم البقاع التي خرجت عن طاعة مالي ، ومع ذلك فقد فشل في استعادة (غاو) عاصمة (صنغاي) . وقد بنى المساجد والمنارات ، واستدعى الفقهاء من خارج البلاد ، وأدى فريضة الحج عام ٧٥٢ هـ .

تولى حكم امبراطورية مالي بعد سليمان ابنه (قنبتا) ، ولم يحكم سوى تسعة أشهر حيث مات بعدها ، فأخذ الحكم (ماري جاطه الثاني) بن (مغان الأول) ٧٦٢ - ٧٧٦ هـ ، وكان سيء السيرة مبذراً أتلف مافي خزائن الدولة ، ولكنه كان حسن الصلة مع سلاطين المغرب ومصر .

جاء إلى الحكم (موسى الثاني) بن (ماري جاطه الثاني) ، وكان أحسن سيرة من أبيه ، ولكن وزيره استبد بالأمر ، وحجر عليه ، فحارب دولة (صنغاي) التي كانت قد احتلت أجزاء واسعة من دولة مالي ، وتجاوزت جيوشه عاصمتها (غاو) دون أن تدخلها ، كما حارب الملشين في الشمال .

توفي (موسى الثاني) ٧٨٩ هـ فخلفه أخوه (مغان الثاني) ، إلا أنه قتل عام ٧٩٠ هـ في فتنة داخلية . وأخذ الحكم (صندكي) زوج أم موسى ، واستمر فيه حتى عام ٧٩٣ هـ ، وتميزت فترة حكمه بحدوث فتن كثيرة استغلها أحد أفراد الأسرة واسمه (محمود) فأخذ الحكم ، وتولاه باسم (منسى مغان) عام ٧٩٣ هـ . وتختفي

المعلومات عن ملوك مالي بعد هذه المدة حتى تندمج في دولة
صنغاي عام ٨٩٤ هـ .

ومن أهم عوامل الضعف الذي منيت به دولة مالي :

١ - ضعف كثير من الحكام .

٢ - هجمات الطوارق المتلاحقة والمتابعة والتي انتهت
بإستيلائهم على (تومبوكتو) و (ولاته) ، وسيطرتهم على معظم
مناطق مالي الشمالية .

٣ - أعمال الغزو والتخريب التي كانت تقوم بها قبائل
(الموش) الوثنية .

٤ - هجمات الفولانيين والتكارة على (إبامبوك) .

٥ - انفصال دولة صنغاي عن مالي واستقلالها حوالي منتصف
القرن الثامن الهجري إثر هرب الرهائن (علي كولن وسليمان نار)
من مالي إلى غاو وتأسيسهم لامبراطورية صنغاي التي نجحت فيما
بعد بالاستيلاء على مالي كلها وبسط سلطانها عليها .

ورغم كل ذلك بقيت مالي محتفظة بكيانها السياسي في
(كانجابا) منطقتها الصغيرة التي نشأت فيها والتي هي قاعدتها
الأولى ، وكثيراً ما حاولت الخروج على ملوك الصنغاي ، واستعانت
بقوى خارجية فقد استنجدت بالعثمانيين عام ٨٨٦ هـ وطلبت
حمايتهم ، وطلبت المساعدة من البرتغاليين الذين بدؤوا يشتون
أقدامهم على السواحل الغربية ، وقد أرسلت البرتغال سفارة لهم
برئاسة (بطرس فرناندو) عام ٩٤٠ - ٩٤١ هـ إلى (منسى مالي)

محمود الثاني ، وكان نتيجة هذه السفارة جلاء الفولانيين والتكارنة عن حوض نهر (فاليم) ، وفي الوقت نفسه فقد شجع هذا (منسى مالي) على القيام بثورة ضد صغاي عام ٩٤٠هـ للتخلص من سيادتها ، إلا أن الصغاي قمعوا ثورته بشدة الأمر الذي أدى إلى قيام الفتن والانقسامات واعتداءات الجوار ، إلى أن انتهى الأمر بالسيطرة المراكشية بعد القضاء على امبراطورية الصغاي .

وأثناء انشغال أمراء الصغاي في الكفاح ضد الغزاة ، تحرك سلطان مالي (محمد الثالث) كما تحرك سلطان (مانسا) الفولاني (حمد آمنة) ، ونجحا في التحرر من سلطة صغاي ، واستعادت مالي بعض أملاكها المفقودة ، وطمعت في الاستيلاء على مملكة (جني) فهاجمتها عام ١٠٠٧ هـ ، ولكن المراكشين أيام السعديين وكانوا قد سيطروا على المنطقة ودخلوا (تومبوكتو) عام ١٠٠٠هـ قد أبادوا قوات مالي ، ومنذ ذلك التاريخ أفل نجم دولة مالي من تاريخ السودان الغربي ، وإن كانت تظهر بعض الأحيان على شكل ضعيف ، إذ حاول ملكها (ماما مغان) عام ١٠٨١هـ أن يتوسع ولكنه هزم أمام ملك (السيغو) من (الببارا) أحد فروع الماندينغ ، فتقلصت دولته وخلفه (مامي كيتا) لمدة خمسة عشر عاما ، ثم خلفه أبناؤه من بعده ، فتفرقوا بعد أن اقتسموا السلطة فيما بينهم ، واستقر آخرهم في (باماكو) .

امبراطورية الصّغاي

الصغاي : مجموعة من القبائل الزنجية كانت تعيش في غربي نهر النيجر الأسفل ، في المنطقة الواقعة اليوم شمالي بنين (الداهومي) وغربي نيجيرية الى الغرب من نهر النيجر ، ثم أخذت هذه القبائل تنتقل نحو الشمال مع نهر النيجر ، ثم استقرت حوالي القرن السابع الميلادي أو الأول الهجري ، وهم اليوم في مالي في منطقة (غاو) على نهر النيجر ، وفي دولة النيجر عيد مجرى النهر وحول مدينة (اغاديس) في الداخل •

وفي الوقت نفسه هاجرت جماعات من قبيلة لتونة البربرية الى تلك الجهات ، واستطاعت أن تقيم حكومة فرضت سيطرتها على قبائل تلك المناطق من الصغاي ، وقد تنقلت العاصمة مع التنقل نحو الشمال فكانت في (دندي) أول الأمر ثم (كوكو) وأخيراً استقرت في (غاو) •

امتدت امبراطورية مالي في عهد (منسي علي) بن (ماري جاطة) كثيراً وبسطت نفوذها على دولة (صغاي) الناشئة وذلك في منتصف القرن السابع الهجري ، وأخذت منها عدداً من الرهائن

لضمان خضوعها واستمرارها ، إذ سبق أن ذكرنا أن سيطرة مملكة
على الممالك الثانية لا تقضي عليها . وأن تكتفي بفرض الجزية عليها .
وكان من هذه الرهائن ولدا ملك صنغاي (زاياسبي) وهما (علي
كولن) و (سليمان نار) ، وهما طفلان صغيران .

استطاع علي كولن وأخوه سليمان نار أن يفرا من الماندينغ ،
وأن يتجها نحو (غاو) فأنقذاها من الحامية الماندينغية ، وأسسا
مملكة جديدة بدأت تتوسع على حساب دولة مالي ، وذلك في عهد
(مغان الأول) حوالي عام ٧٤٠ هـ ، وكان علي كولن أن تولي عرش
هذه المملكة ، ولم يدم حكمه طويلا حيث كان كبير السن فخلفه
أخوه سليمان نار في الحكم . ولكن مدة استقلال (صنغاي) لم
تدم طويلا إذ عادت فخضعت اسميا لسلطان مالي ، ولكن ما لبث
سلطان مالي أن بدأ يضعف على المناطق الشرقية التي توجد فيها
مملكة صنغاي فقوي أمرها ، وفي عهد ملك مالي موسى الثاني سار
وزيره ماري جاطه الى المناطق الشرقية ومع أنه استطاع تجاوز
مدينة (غاو) إلا أنه لم يدخلها .

وفي عام ٨٢٣ هـ قام ملك (الصنغاي) محمد دوغو بحملة
ضد ملك مالي فأخضع قبائل (البمبارة) ، وثبت دعائم حكمه ،
وتخلص من سيطرة مالي التي كانت في مرحلة من الضعف وتكاد
تقتصر على منطقة (كانجابا) ، وتوفي محمد دوغو عام ٨٦٩ هـ فخلفه
ابنه مسنا علي) الذي يعد مؤسس امبراطورية (الصنغاي) ،
فقد استطاع الاستيلاء على مدينة (تومبوكتو) عام ٨٧٣ هـ ، وطرده

الطوارق منها ، وحرقت أكثر أحيائها ، وقتل الكثير من سكانها .
وفي عام ٨٧٥ هـ . أخضع منطقة نهر التيجر كلها فاستولى على
مدينة (جني) ، كما سيطر على منطقة (باتنغا) مقر قبائل (الموش) ،
ولكنه لم يستطع إخضاع هذه القبائل له تماماً ، وتوسعت مملكته
حتى أصبحت امبراطورية ، وقد حاولت مملكة مالي الاستعانة
بالعثمانيين ٨٨٦ هـ ، وطلبت أن تكون تحت حمايتهم .

توفي محمد دوغو عام ٨٩٨ هـ وخلفه ابنه (ابو بكر) ، إلا
أن قواد أبيه قد ثاروا عليه ، وتمكن القائد (محمد بن أبي بكر
الطوري) أن يهزمه ، إلا أن أبا بكر توفي وانتقل الحكم من هذه
الأسرة (زا) إلى القائد محمد الذي عرف باسم (اسكيا محمد)
عام ٨٩٩ هـ . فبلغت دولة صنغاي أوج ازدهارها إذ نظم الإدارة
وجهاز الجيش المدرب وكان نظاميا على غير القاعدة لقديمه وفي
الوقت نفسه فقد اهتم بالشؤون الاسلامية .

أدى (اسكيا محمد) فريضة الحج عام ٩٠١ هـ ، وعند عودته
من الديار المقدسة اتخذ حركة توسعية ذات مظهر اسلامي واضح
حين اتجه إلى قبائل (الموش) الزنجية الوثنية فأعلن الجهاد ،
وطلب من ملوك هذه القبائل الدخول في الاسلام أو دفع الجزية فلما
أبوا حاربهم وانتصر عليهم كما توسع في الغرب فواصل تقدمه على
سواحل المحيط الاطلسي اذ ضم بلاد الماندينغ والبولاني إليه كما
وصل إلى الصحراء في الشمال ، أي أنه ضم منطقة السافانا كلها
إذ وصل في الشرق الى بحيرة تشاد بعد أن ضم إليه إمارات
الهاوسا .

وفي عام ٩٣٥ هـ قام أبناؤه عليه فأجبروه على التخلي عن الحكم لابنه (موسى) الذي نفاه إلى جزيرة بعيدة في نهر النيجر ، ولكن موسى قد قتل عام ٩٣٨ هـ ، وتولى بعده أخوه (محمد بنكة) واستمر حكمه حتى عام ٩٤٤ هـ حيث عزل وتولى بعده أخوه (اسكيا اسماعيل) فحكم عامين ، وأعاد أباه (اسكيا محمد) وكان قد كف بصره ثم مات عام ٩٤٩ هـ .

وفي هذه المدة من الفوضى حاولت مملكة مالي النهوض والاستنجاد بالبرتغاليين ، فارسلت البرتغال سفارة لهم برئاسة (بطرس فرناندو) عام ٩٤٠ - ٩٤١ هـ فقامت مالي بثورة ضد (الصنغاي) ولكن قمعت بشدة من قبل (محمد بنكة) .

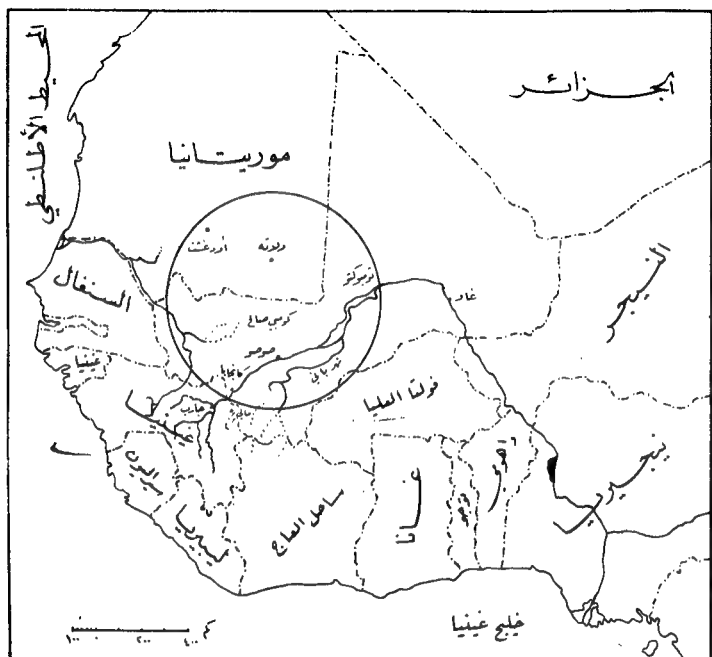
تولى حكم (الصنغاي) (اسكيا اسحق) عام ٩٥٠ هـ ، وفي أيامه ساءت العلاقة بين ملوك الصنغاي وملوك المغرب .

ثم جاء إلى الحكم (اسكيا داود) عام ٩٥٦ هـ ، وفي عهده ثارت مملكة مالي عليه ، فارسل اليها حملة تغلبت عليها ، وزادت العلاقات سوءاً بينه وبين المغرب ، وتوفي عام ٩٩٠ هـ .

جاء إلى حكم الصنغاي بعد (اسكيا داود) ابنه (اسكيا حاج محمد الثاني) ، ودام حكمه خمس سنوات حدث أثناءها مناوشات بين المغرب وبين دولته . وبعد أن خلعه إخوته عام ٩٩٥ هـ تولى مكانه أخوه (محمد بن اسكيا داود) الذي حكم ثلاث سنوات ، وجاء بعده (اسكيا اسحاق الثاني) الذي تردت العلاقات في أيامه بينه وبين المغرب ، فجاءت حملة مغربية هزمت الصنغاي في معركة

(تندى) واستولت على (غاو) عاصمة امبراطورية الصنغاي •
 حصلت مفاوضات بين قائد الحملة المغربية وملك الصنغاي
 انتهت بوقف الحرب ووضع شروط للصالح ، إلا أن ملك المغرب
 (منصور السعدي) قد رفض هذه الشروط فاستؤنفت الاعمال
 الحربية من جديد ، وهزمت الصنغاي مرة ثانية ، فثار الشعب على
 الملك الذي فر من قاعدة حكمه ، فتولى أمر تسيير البلاد رئيس
 الديوان (محمد كاغ) الذي لم يلبث أن نصب نفسه امبراطوراً
 وتسمى باسم (اسكيا) إلا أن الشعب لم يقبل به ، فعينوا ملكاً
 عليهم هو (اسكيا نوح) الذي تولى عام ١٠٠٢ هـ ، وبذا أصبح في
 البلاد ملكان أحدهما يقر بسيادة المغرب ، والآخر لا يعترف بذلك •
 وحاول (اسكيا نوح) أن يث روح المقاومة في أبناء البلاد فألف
 جيشاً قوياً وبدأ بحرب المقاومة وقد استطاع خلال أربع سنوات
 أن يذيب جيش المغرب والحاميات الموجودة في بلاد الصنغاي الويلات
 وأن يكبدها الكثير من الأنفس وخاصة أن الامدادات قد توقفت من
 بلاد المغرب •

أرسل ملك المغرب عدة جيوش الى بلاد الصنغاي مما اضطر
 (اسكيا نوح) الى الهرب ومغادرة البلاد ، وانتهت المقاومة بوفاة
 عام ١٠٠٤ هـ ، وتفككت البلاد وآل الحكم فيها الى رجال القبائل
 وعم الظلم ، وانتشرت المجاعة ، بذا انتهت امبراطورية الصنغاي •



البامبارا

البامبارا : جماعة من الماندينغ كانت تقيم على حوض نهر النيجر الأعلى في وادي نهر (باني) أحد روافد النيجر • وتتبع دولة مالي ما دامت جزءاً منها • • وعندما ضعفت دولة مالي وقامت امبراطورية الصنغاي نجح (البامبارا) في تأسيس إمارة صغيرة حول مدينة (سيغو) على نهر النيجر •

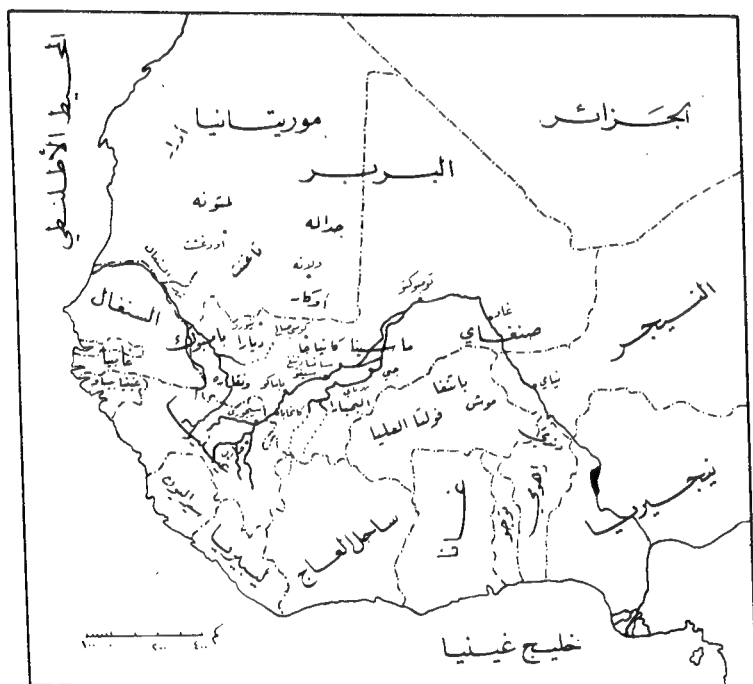
خضعت إمارة (سيغو) في بداية أمرها الى (تومبوكتو) التي كان يحكمها باشوات الذين اشتهروا باسم (الأرما) ، وهم مولدون من آباء بربر وأمهات زنجية ، وبدأت إمارة (سيغو) تتوسع ، ففي عام ١٠٧١ هـ تخلصت من سيادة (تومبوكتو) ثم فرضت عليها الجزية عام ١٠٨١ هـ ، وامتدت (سيغو) من (كانجابا) في الجنوب الى (تومبوكتو) في الشمال والى الصحراء ، وأصبحت ملجأً للفارين إذ التجأ عليها الشريف علي بن حيدر من المغرب خوفاً من بطش السلطان • كما أنه في العام نفسه استطاع من طرد ملك (مالي) (ما ما مغان كيتا) • ثم حدثت فتن اقتتل الحكم إثرها الى أسرة ديارا وذلك عام ١١٦٤ هـ ، وقضى على دولة (سيغو) عام ١٢٧٨ هـ الحاج عمر سلطان التكارفة في (أجوت جالون)

حيث قاوم الفرنسيون توسعه نحو المغرب فاتجه الى الشرق •
وأقام البامبارا إمارة أخرى في غربي (سيغو) بل إن مؤسسي
الامارتين كانا أخوين • وكان مركز الامارة الثانية (كاآرتا
Kaarta) شمال نهر (باكوي Bakoy) أحد فروع نهر السنغال ،
وقد رفضوا سيادة إمارة (سيغو) عليهم ، وقد وقع خلاف بين
هاتين الامارتين وانتهت الحروب بانتصار امارة (سيغو) ، وعرف
حكام كاآتا بلقب (ماساسي Massassi) الذي يقابل كلمة (منسى)
في مملكة مالي • ومن أشهر ملوك هذه الامارة (الماسا أبو بكر)
الذي وسع إمارته وقد قابل المستعمر (منجو بارك) الذي يسمونه
مكتشفاً عام ١٢١١ هـ ، وآخر سلاطين هذه الامارة (كانديان)
وكان مركز حكمه في (نيورو) ، وقد تعرض لغزو الحاج عمر
سلطان التكارنة عام ١٢٧٧ هـ •

بعد زوال دولتي البامبارا بقي الماندينغ منقسمين على أنفسهم،
وقد ظهر فيهم زعيم قوي عام ١٢٧٧ هـ ، أي في الوقت الذي زالت
فيه إمارات البامبارا وهذا الزعيم هو ساموري توري ، وكان ظهوره
في منطقة وسولو ، واستطاع أن ييسط نفوذه على جميع قبائل
الماندينغ خلال مدة عشرين سنة ١٢٨٧ - ١٢٠٧ هـ وأن يوحد
صفوفهم إذ كانوا متفرقين جنوبي دولة التكارنة التي يقودها
الحاج عمر •

اتخذ ساموري توري لقب إمام ، وتصدى لمقاومة الفرنسيين
من عام ١٣٠٠ - ١٣١٦ هـ ، فاحتل الفرنسيون عاصمة (بيساندوغو).
عام ١٣٠٩ هـ ثم احتلوا (سيغو) وتومبوكتو عام ١٣١٠ هـ •

هرب ساموري توري إلى أعالي نهر فولتا واستمر في مقاومة
الفرنسيين فقبض عليه عام ١٣١٦ هـ في أعالي ساحل العاج ونفوه
إلى الغابون حيث توفي هناك عام ١٣١٨ هـ .



إلى جانب إمارات البامبارا ظهرت في المنطقة امارات ثانية ذات أهمية منها ، إمارة لقبائل الفولاني في منطقة (ماسينا) على نهر النيجر جنوبي (تومبوكتو) ، وقد وجدت جماعة من الفولاني في هذه البقعة منذ القرن الثامن الهجري ، وظلوا فيها الى القرن الثالث

عشر يقرون لملوك مالي بالسيادة ، ثم خضعوا لباشوات تومبوكتو وأخيراً لملوك (البامبارا) في (سيغو) ، ويدؤوا يدخلون في الإسلام في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري وقاموا بحركة من الجهاد ضد أبناء جنسهم من الوثنيين ، فاستنجد الوثنيون بملوك البامبارا ولكن المسلمين استطاعوا التغلب وهزموا جيش (سيغو) ، وأسسوا مملكة إسلامية عام ١٢٢٥ هـ في (ماسنا) حكمت المنطقة كلها .

وأقام التوكلور إمارة (فوتاجالون) في جنوب الحوض الادنى لنهر السنغال وهم من المسلمين وقد دخلوا في هذا الدين منذ مدة طويلة وأسهموا في حركة المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري . وفي القرن التاسع كونوا أسرة حكمت المنطقة ، وظهر منهم عام ١٢٥٤ هـ الحاج عمر الذي وحد السودان الغربي من (فوتاجالون) الى (تومبوكتو) تحت سلطانه .

وفي عام ١٢٧١ هـ قام الحاج عمر بغزو بلاد (كارتا) فدانت له ، ثم حاول مهاجمة إمارة (سيغو) بالتعاون مع ملك (ماسنا) الفولاني إلا أن الأخير رفض ذلك ، فاضطر الحاج عمر الى التوجه نحو الغرب الى منطقة السنغال الأوسط ، وفي الوقت نفسه كان الفرنسيون يسيطون نفوذهم على تلك الجهات فأوقفوا تقدمه ، فعاد الحاج عمر مرة أخرى إلى الشرق ، واحتل إمارة (سيغو) عام ١٢٧٨ هـ و (ماسينا) عام ١٢٧٩ هـ ثم (تومبوكتو) عام ١٢٨٠ هـ .

قام (البامبارا) في (سيغو) والنفولائي في (ماسينا) بثورة عليه انتهت بمقتله عام ١٢٨١ هـ •

تنافس أبناء الحاج عمر من بعده على السلطة ، ودخلوا في حروب فيما بينهم ، وأسأؤوا خلالها إلى السكان ، ونشروا الخراب في معظم المنطقة فكرههم الناس ، وكان آخرهم الأمير أحمد الذي توفي عام ١٣١٦ هـ إثر هزيمة الفرنسيين له أثناء تقدمهم نحو الشرق حيث وجدوا الطريق ممهدة أمامهم لاحتلال البلاد •

الاستعمار

في الوقت الذي كان فيه المسلمون يجوبون معظم أرجاء إفريقيا وبخاصة الأقسام الشرقية والشمالية والغربية منها ، وينشرون فيها الدين الاسلامي واللغة العربية كما يضعون المؤلفات الكثيرة عن هذه القارة ، كانت أوروبا في هذا الوقت تجهل كل شيء عن إفريقيا اللهم إلا ما عرفته عن طريق المؤلفات العربية .

وعندما اشتد الصراع في بلاد الاندلس بين المسلمين والنصارى ، وعجز الاسبان والبرتغاليون عن اقتحام معقل المسلمين واخراجهم منها فكروا في الابحار على سواحل القارة الغربية لمعرفة قوة المسلمين في تلك القارة وبخاصة أنها كانت الاحتياطي لمسلمي الاندلس والدعم لهم في الحروب السابقة التي قادها المرابطون والموحدون من بعدهم ، فإذا كان الضعف في إفريقيا باديًا على المسلمين دخلوها وأحاطوا بهم ، وإن كان غير ذلك اتخذوا مراكز لهم على السواحل وأفادوا من التجارة وانتظروا حتى ينظروا أمر المسلمين .

وصل بعض البحارة الاوروبيين إلى نهر السنغال عام ٧٤٧ هـ ، وزاروا الرأس الاخضر ، ولكنهم لم يقيموا فيه ، وفي عام ٨٤٨ هـ احتل البرتغاليون جزيرة (ارغين) الصغيرة ، واحتل الهولنديون

جزيرة (غوريه) مقابل الرأس الأخضر ، وظل هؤلاء سادة هذه المناطق حتى أواخر القرن التاسع الهجري إذ بدأ الفرنسيون يترددون على الشواطئ السنغالية ، وينشئون مراكز الإقامة لهم في بعض أنحائها •

وجد هؤلاء الأوروبيون قوة المسلمين في داخل إفريقية فأيقنوا أن دخولهم إليها أمر صعب كما أنه من المحتمل أن يقوم هؤلاء المسلمون بدعم الأندلس ، لهذا كله فكروا بالبقاء على السواحل وعدم القيام بمغامرات في الداخل •

ضعف أمر المسلمين في الأندلس كثيراً ، وزادت الامدادات الأوربية لإسبانيان والبرتغال وبذا خرج المسلمون من الأندلس عام ٨٩٨ هـ ، وقام الاسبانيان والبرتغاليون بمحاولات لمتابعتهم ومحاولة تطويقهم من الجنوب والشرق ، فسار الاسبانيان نحو الغرب وعرفوا أمريكا ، وسار البرتغاليون نحو الجنوب واستطاعوا الالتفاف حول إفريقية ، ووصل كلاهما الى الشرق ، وأثريا ثراء كبيراً نتيجة التجارة والمعرفة الجغرافية وأعمال النهب والسلب التي قاموا بها ، وأصبح لكل منهما امبراطورية واسعة •

ومع هذه القوة وهذا الثراء فقد استطاعوا السيطرة على أجزاء من العالم الاسلامي الذي كان قد أصابه الضعف وتفككت أمصاره بعضها عن بعض ، كما قامت دول أوربية أخرى مثل فرنسا وانكلترا وهولندا وبلجيكا وروسية تنافس اسبانية والبرتغال لما رأت من قوتهما والافادة من مستعمراتهما وكل منها تحاول أن تحصل

على غنيمة من العالم الاسلامي • وفي الوقت نفسه فقد ضعف أمر المسلمين في غربي إفريقيا بل حاولت بعض الامارات الاستعانة بالبرتغاليين — كما رأينا — عند ذلك تحركت القوى الأوروبية نحو غربي إفريقيا وكأنها انفلتت من عقالها •

كانت المحاولات الأوروبية الأولى كجس نبض فسارت باسم الاكتشافات ، وكانت أولى الرحلات الى الداخل موجهة الى حوض نهر النيجر عام ١٢١٠ هـ ، وقد انطلقت من (غامبيا) على طول نهر غامبيا ، وقد استطاع رائد هذه الرحلة (منجو بارك) الوصول الى مدينة (سينغو) على نهر النيجر ، ثم توغل إلى أبعد من ذلك في رحلته الثانية عام ١٢٢٠ هـ • وتعددت بعد ذلك الرحلات وبخاصة الافرنسية منها الى مناطق غربي افريقية ، ولم يكن هؤلاء الرحالة إلا رسل بلادهم للتعرف على ثروات البلاد وامكانية استغلالها واستثمارها ، وهكذا لم تكن هذه البعث التي حملت الصفة العالمية إلا بداية لحركة استعمارية واسعة النطاق للقارة الافريقية • ولما تم لهؤلاء الرحالة التعرف على البلاد والكشف عن إمكاناتها وثرواتها بدأت مرحلة جديدة من النشاط في المنطقة وهي مرحلة الاستيلاء ثم الاستعمار بأسوء صورته وأشكاله •

استطاعت فرنسا التوغل الى غربي إفريقيا عن طريق نهري النيجر والسنغال والقضاء على مملكة (الحاج عمر) عام ١٢٨١ هـ ، وحكومة (ساموري توري) عام ١٣١٦ هـ — كما ذكرنا — وبسطة نفوذها على معظم السودان الغربي وضمت الى قواتها

العسكرية وحدات من القبائل الوثنية مثل البامبارا في مالي كانت خير عون للمستعمرين في حكم البلاد بالسيف والنار . وتبع ذلك عملية استغلال واسعة النطاق في معظم تلك المنطقة من قبل الحكومة الفرنسية ، وفي غيرها من المناطق من قبل الدول الاستعمارية الأخرى ، وبدأت باستغلال الانسان الافريقي ، بل استغلال إنسانيته ، فنقل الآلاف منهم الى العالم الجديد (امريكا) وبيعوا فيها رقيقاً لأصحاب المزارع الكبيرة هناك والى الشركات للعمل في المناجم ، وقد أصبحت المراكز الساحلية التي أقيمت على سواحل غربي إفريقيا موانئ تساق اليها أفواج الرقيق من كل جهة ، وأدوات الموت موجهة اليهم ، وربما كان ذكر الحوادث التي يقادفيها الزوج نحو السفن وعمليات الاختطاف للأطفال والشباب والفتيات تحز في النفس لما فيها من مأسٍ وأحزان ، ونحرص على أن نجنب القارئ منها .

استمرت هذه المأساة مدة من الزمن ، حتى اذا انتهى عهد الرقيق ، وقامت الدول الاستعمارية نفسها تحرمه - لا انسانيه وتقى - انما تخمة وخوفا على اقتصادها من منافسة البضائع الرخيصة التي يعمل في اقتاجها الزوج ، عند ذلك بدأت مرحلة جديدة من الاستعمار للقارة كلها تميزت بوضع خطة لسياسه جديدة تكفل للدول الاستعمارية السيطرة على البلاد وعلى مواردها المختلفة واتبعت في سبيل ذلك مختلف الوسائل الانسانية من تمييز عنصري على اساس اللون والجنس ، ومن نظام للسخرة

يفرض على الافريقي العمل في فراغ المستعمرين او في المناجم أو في مجالات الاستغلال الاخرى .

وفي هذه الحالة أهملت في البلاد كل الخدمات الانسانية والاجتماعية التي يمكن ان تقدم لابناء افريقية على حين كانت تقدم ارقى هذه الخدمات للمستعمرين ، فأخذت الامراض تفتك بالافريقيين فتكادزريعا وتقضي على المئات منهم اضافة الى ما كانت تفعله المجاعات ونقص المواد الغذائية الضرورية .

كما اتبعت الدول الاستعمارية سياسة أخرى وهي محاولة ابقاء الشعب في جهل تام حتى يبقى لا يدري بالذي حوله - وهذا يعني بالنسبة الى الدول الاستعمارية محاربة كل ما من شأنه ان يرفع الجهل عن الامة المنكوبة بهم ، ويلفت نظرها الى وجوب التحرر من نير الاستعمار ، لذا بدأت اول ما بدأت به وبخاصة في البلدان الاسلامية بمحاربة الاسلام ، وهذا ماحدث فعلا في بلاد مالي من قبل الحكومة الفرنسية . وفي الوقت نفسه فقد فتحت الدول الاستعمارية الباب على مصراعيه لدخول الارشاليات التبشيرية المدعومة بامكانيات مادية ضخمة من الدول الاستعمارية كلها ومن اتحاد الكنائس العالمي ، وقد فتحت هذه الارشاليات المدارس وأقامت المشافي ، ووضعتها تحت تصرف من يعتنق النصرانية ... فكان امام الافريقي اما ان يرضى بالبقاء في رتبة الجهل المرض متحديا السياسة الاستعمارية والارشاليات معا او يرضخ لها ويقبل على هذه المدارس والمشافي وغالبا ما كان يفضل الحالة الاولى

لهذا فقد تعلم وتدرّب من أقبل عليها ، وتسلم أمور البلاد بعد خروج الاستعمار ولكن بتأييده أيضا اما الثاني وهو الافريقي المسلم فقد بقي تبعا ، وفي حالة من الجهل والفقر والمرض •

ان اي تجمع يجب ان يتبع ويخضع سياسيا واقتصاديا وثقافيا لسيادة فرنسا وهذا ما كان على الافريقيين ان يعرفوه ، ودارت تجمعاتهم السياسية حول هذه الفكرة. وعملت بصورة أو بأخرى لنقل او تعديل علاقة التبعية والسيادة التي بين الافريقيين والفرنسيين ، وكان من الصعب ان يستطيع اي تجمع افريقي التمتع بالبقاء في ظل القانون - الذي وضعته الدولة الاستعمارية - دون ان يتعرض للحل او الالغاء فيما لو طلب انسحاب فرنسة المباشر من البلاد • لذلك عملت الاحزاب والحركات الوطنية الافريقية في معظمها من الناحية العملية بين فكرتين متضادتين :

الاولى : وكانت تطالب بتصنيف الاستعمار •

الثانية : وكانت تقبل بالامر الواقع مع التعديل التدريجي والذي ترضى به الادارة الفرنسية ، ومن الاحزاب التي قامت في البلاد :

١ - حزب الاتحاد السوداني ، وكان يدعو لاقامة حكم شبيه بحكم الحاج عمر •

٢ - حزب التجمع الديمقراطي الافريقي وكان في غربي افريقية كله ، وكان لهذا الحزب فروع في مختلف المستعمرات الفرنسية في غربي افريقية •

وقد تعرضت افريقية الفرنسية الى تغييرات عديدة في الحدود والاقسام السياسية ، وقد ظلت كل مستعمرة خاضعة لحاكم فرنسي عام يتلقى اوامره مباشرة من وزير المستعمرات الفرنسي ولكن لم تلبث أن ظهرت مفاصد هذا النظام ، لذلك فكرت فرنسا في تجميع بعض المستعمرات في وحدات اتحادية ، ومن هذه الوحدات كانت افريقية الغربية الفرنسية التي تضم موريتانيا - السنغال - غينيا - ساحل العاج - فولتا العليا - مالي - النيجر - داهومي •

وفي عام ١٣٢٢ هـ شكلت فرنسا اقليما في منطقة مالي وسمي (السنغال العليا والنيجر) ثم بدل هذا الاسم عام ١٣٣٩ هـ وأصبح السودان الفرنسي •

نص دستور فرنسا عام ١٣٦٥ هـ على تكوين مجلس عام في كل اتحاد ، ويختب اعضاؤه من بين الجمعيات الاقليمية في وحدات الاتحاد ، وقد كانت قوانين الانتخاب معقدة ، وجرت الانتخابات الاولى ، ونجح الوطنيون الافريقيون •

وعدل الدستور عام ١٣٧٦ هـ واصبح يقوم بجانب المجلس الوطني الاقليمي ، مجلس تنفيذي يمثل السلطة ويرأس هذا المجلس التنفيذي حاكم الاقليم الذي يعين اقسما من المجلس بينما يتم أخذ القسم الثاني بالانتخاب •

وفي عام ١٣٧٧ هـ عقد مؤتمر في باماكو يضم أقاليم افريقية الغربية، وكان من مقرارته ضرورة اعتراف فرنسا بحق تقرير المصير •

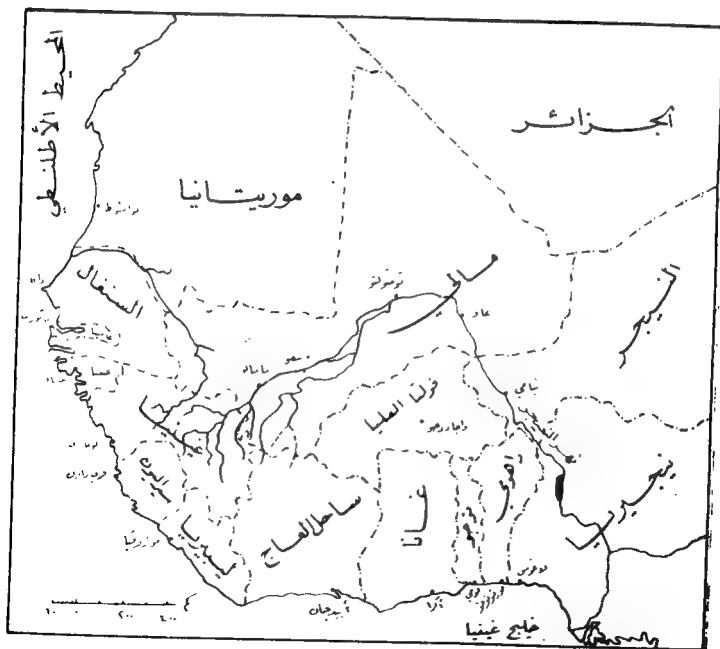
وخشي الفرنسيون اندلاع الحرب - كما حدث في الجزائر التي كانت ثورتها مشتعلة - فأصدر رئيس وزراء فرنسا غي مولييه قانون الإصلاح الإداري ، وينص على إجراء انتخابات في كل إقليم لتكوين جمعيات عامة تتولى تشكيل الوزارة .

وفي عام ١٣٧٨ هـ جاء ديغول إلى حكم فرنسا ، وفكر في الحفاظ على مستعمرات فرنسا فيما وراء البحار ، فعرض دستوره وأعطى حرية لكل إقليم أن يصوت على الدستور بـ « نعم » أو « لا » وينص هذا الدستور على أن الإقليم الذي يقبل الدستور يصبح عضواً في مجموعة الشعوب الفرنسية ، ويشكل حكومة محلية ، ويتمتع بالاستقلال الداخلي ، على أن تكون السلطة المركزية لفرنسا في الدفاع والاقتصاد والشؤون الخارجية كما يمكن أن يعقد اتحاد بين إقليمين أو عضوين في المجموعة الفرنسية ، أما الأقاليم التي لا توافق على الدستور فتحصل على الاستقلال التام ، وعندها تقطع فرنسا عنه مباشرة كل معونة فنية كانت أو مادية أو إدارية ، ولكن صحب هذا الاستفتاء أنواع من التهديدات والوعيد ، حتى أن القسم الكبير من السكان قد قاطع الاستفتاء ولهذا كانت النتيجة قبول دستور ديغول في أغلب الأقاليم .

وتكونت جمهورية مالي ذات الاستقلال الذاتي ضمن المجموعة الفرنسية ، وألغيت وظيفة الحاكم العام ، وتشكلت وزارة « موديو كيتا » .

وفي عام ١٣٧٩ تم اتحاد بين السودان الفرنسي والسنغال

أطلق عليه اسم مالي رمزا للمملكة التي ازدهرت في القرنين السابع والثامن الهجريين - كما مر معنا - وانتخب موديو كيتا رئيسا لهذا الاتحاد ، وحصل هذا الاتحاد على الاستقلال ضمن الجماعة الفرنسية عام ١٣٨٠ هـ . ولكن لم يلبث أن اضطر هذا الاتحاد بعد ثلاثة أشهر من إقامه تسبب خلافات في السياسة ، وأعلن السودان نفسه جمهورية مستقلة استقلالاً تاماً مع الاحتفاظ باسم مالي ، وانتخب (موديو كيتا) رئيساً للجمهورية بالاجماع



عام ١٣٨١ هـ . وانتقد المعاهدة المعقودة مع فرنسا ، وتكلفت
المفاوضات التي جرت مع فرنسا بالنجاح بشأن انسحاب القواعد
الفرنسية من مالي . وينتمي (موديو كيتا) الى أسرة كيتا
التي اسست امبراطورية مالي أيام ماري جاطة بعد ان قضى
الصمصوم على مملكة مالي واسرة كيتا بالذات لهذا كان للاتماء
أثر في شهرته وانتخابه .

وفي عام ١٣٨٨ هـ انتهت مدة رئاسة مدديو كيتا ونحي عن
الحكم بعد حركة عسكرية قادها (موسى تراوري) وهو
ملازم اول وينتمي الى اسرة تراوري التي كانت تحكم مملكة
مالي قبل كيتا ، وتولى موسى تراوري رئاسة الجمهورية ، وتم
تشكيل لجنة عسكرية من اربعة عشر عضوا .

مَعَ السَّكَانِ

السكان

يقدر عدد سكان مالي عام ١٣٩٧ هـ بخمسة ملايين ونصف المليون ، وبذا تكون الكثافة خمسة اشخاص في الكيلو المتر المربع الواحد . ويبلغ معدل الزيادة السنوية : ١.٩٪ على ان الغالبية العظمى من السكان تتركز في الجزء الجنوبي من البلاد وبخاصة حول نهر النيجر اذ ان الاجزاء الشمالية تشغلها الصحراء ، وأهم المجموعات الجنسية هي :

١ - الماندينغ : وتعني هذه الكلمة مجموعة الشعوب التي تتكلم لغة الماندي ، ولهذه المجموعة اسماء كثيرة تدل على المجموعة نفسها ، اذ أن كل شعب يطلق عليها اسما خاصا حتى كثرت هذه الأسماء وسببت إشكالات كثيرة فقد وهم بعضهم ، ووطن ان كل اسم يدل على شعب خاص ، واخطأ بعضهم الآخر للتشابه .

فالعرب يسمونهم «مليل» .

والفولاني يعرفونهم «مالي» .

والبربر يطلقون عليهم اسم «مليت» .

والهاوسا يدعونهم «وانقارة» ، ولعل هذا الاسم يطلق على

فرعين وهما « السوننكي » و « الديولا » •

والبامبارا : احدى جماعات هذا الشعب يسونهم «مالي» •

والتكرور : يلقبونهم « المالنكي » •

وقبائل نهر غامبيا : يدعونهم « ماندينغ » •

وهم يطلقون على أنفسهم اسم « الماندي » أي باسم

اللغة التي يتكلمونها • وتقدر نسبة هذا الشعب في البلاد بـ ٤٠٪

من مجسوع السكان ، ويدعي أن أصله من الشرق ، وهم سودانيون

بل أفضل من يمثل الجنس السوداني ، وهم عادة تقاس بالنسبة

إليهم الفوارق مع القبائل السودانية الزنجية التي تعيش على

سواحل خليج « غانا » ، لذا يمكن أن نعدهم أقرب الناس جميعا

للجنس الزنجي الذي لم يختلط بغيره ، على الرغم من أنهم اختلطوا

مع البربر الحاميين في الشمال •

وأهم الصفات التي يمتاز بها هذا الشعب ، القامة الطويلة إذ

أن المعدل الوسطي لطول الفرد هو ١٧٢ سم ، والبشرة السوداء

الرمادية ، والرأس الضيق ، والشعر الاجعد ، والجهة البارزة ،

والأنف المفلطح ، والشفاه الغليظة المقلوبة مع قلة في شعر الوجه

والرأس •

ويقول عنهم الحسن الوزان « إنهم أعظم أجناس إفريقية

رقيا ومدنية ، وأشدهم ذكاء وأجدرهم بالاحترام » • ويمتدح

الرحالة الحاليون صناعتهم ومهارتهم وأمانتهم •

أما (ريد) فقد وصفهم بقوله « شعب طويل القامة ، حسن

المنظر ، مشرق اللون ، مسلمون متدينون ، يملكون الجياد وقطعان الغنم الكثيرة ولكنهم أيضا يزرعون القطن والفول السوداني وأنواعا مختلفة من الفلال » كما يقول « وقد سررت كثيرا بلطفهم وسجايهم الكريمة ، ومنظر نسائهم الجاد المحتشم ونظافة قراهم وهدوئها » .

وهم عدة فروع أشهرها :

آ - الماندنكا أو المالنكا : وهو الفرع الرئيسي .

ب - السونتي أو الساراكولية : وهم من الفلاحين في المناطق الغربية .

ج - الديولا أو الجولا : ويعيشون في معظم مناطق مالي ويشغلون بالتجارة .

د - البوزو : ويقومون بصيد السمك .

وهذه الفروع كلها مسلمة .

هـ - البامبارا : وهم وثنيون وتشتهر قبائل السوموتو منهم بصيد السمك .

ومن الفروع الأخرى الكاسونكا والجالونكا وغيرها ...

٢ - الصنغاي : وهم زنوج يعيشون في محاذاة ثنية النيجر من (موبتي) و (تومبوكتو) وإلى (غاو) ، وتقدر نسبتهم بـ ١٢٪ من سكان البلاد ، ويعملون بصيد السمك .

٣ - الفولاني : ولهم أسماء كثيرة أيضا منها « الفولا » و « فيلاتا » و « البهل » وغيرها وقد جاءت هذه الشعوب من الشمال ، وتسربت بين شعوب « الماادينغ » واستطاعت أن تشكل

أسرا حاكمة في كثير من المناطق سواء أكان ذلك في بلاد مالي مثل « غانه » القديمة ، وامبراطورية « الصوصو » أم في بلاد السنغال .

وتنتشر هذه الشعوب في مناطق كثيرة من البلاد ، ويقومون بتربية الحيوان ، وغالبيتهم من المسلمين ، وتبلغ نسبتهم ١٠٪ من السكان .

٤ - البرنو : وهم من سكان اقليم « برنو » شمال شرقي نيجيرية ، وفي غربي بحيرة تشاد ، ويتألفون من عدة أجناس مختلفة أهمها « الكنوري » و « الكرى » و « الكرنه » و « المنكه » و « المندره » أو « الوندله » ثم الاعراب . . . وقد اعتنقت هذه الأجناس الديانة الإسلامية في المدة الاولى التي انتشر فيها الاسلام في القارة الافريقية بل ونشروها بين القبائل المجاورة الوثنية . ويتكلم « البرنو » عدة لغات أو سعيها انتشارا لغة « الكنوري » .

٥ - التوكور : وهذا الشعب ينتشر في بلاد السنغال ، وقد انتقلت جماعات منه نحو مالي ، وتعمل في الزراعة ، كما أن بعضها يعمل في الصناعة من نجارة وحدادة وجلود وأوان فخارية ، وهم من المسلمين .

٦ - الموش : وتعيش هذه القبائل في فولتا العليا ، وأكثرها لاتزال وثنية ، وتعمل في الزراعة وبعض الصناعات ، وانتقلت جماعات منها إلى مالي .

٧ - السينوفو : وتنتشر هذه القبائل في أعالي النيجر وأعالي نهر فولتا في ساحل العاج ، وتشكل ٣٥٪ من سكان مالي .

٨ - المراككا : وتبلغ نسبتهم ٦٪ من السكان .
٩ - اللوجون : وتقدر نسبة هذه القبائل بـ ٣٥٪ من سكان مالي .

١٠ - الطوارق : ويعرفون بالملثمين لوضعهم اللثام على وجوههم ، ويسكن هؤلاء الارض الممتدة من (فزان) في ليبيا إلى شمال نيجيرية ، ومن (غدامس) في ليبيا عند الحدود الليبية - التونسية - الجزائرية إلى (توات) في الجزائر جنوبي مدار السرطان إلى غربي (تومبوكتو) في مالي ، وهم عدة مجموعات من العشائر يضاف اسم المكان الذي تعيش فيه المجموعة إلى كلمة (كل) أي (أهل) أو (قوم) فيقال : (الهقار) للذين يقيمون في منطقة (الهقار) في جنوبي الجزائر و (كل ادرار) للذين يسكنون في منطقة (ادرار) ، و (كل انتصار) للذين يقطنون حول (تومبوكتو) ، ومع ذلك يشكل الطوارق جماعتين رئيسيتين :

١ - المجموعة الشمالية ويعيشون في الصحراء ، ويربون الاغنام والجمال .

٢ - المجموعة الجنوبية ويعيشون في الهضاب وأرض السافانا ويربون الابقار .

والطوارق طوال القامة (١٧٥ سم) المعدل الوسطي ، وأجسامهم قوية ، وعظام وجوههم بارزة ، والبشرة أقرب إلى الصفرة مشربة بحمرة ، وعيونهم سوداء ، وشعورهم سوداء متموجة وطويلة ، وكلهم من المسلمين ، وقد لعبوا دورا كبيرا في نشر الاسلام في منطقة السودان .

١١ - العرب : وهناك جماعات من العرب الرحل يعيشون في شمالي (تومبوكتو) ولكن نسبتهم قليلة .
يشكل المسلمون ٩٣٪ من سكان البلاد ، وهم معظم القبائل .
ويشكل الوثنيون ٦٪ من سكان مالي ، ومعظمهم من قبائل البامبارا التي هي من الماندينغ ومن قبائل الموش التي تنتشر في فولتا العليا .

ويشكل النصارى ١٪ من السكان وهم الذين استطاع أن يؤثر عليهم المستعمرون والارسلالات التبشيرية ، نتيجة المصالح الشخصية وتقديم الخدمات .

اللغة :

لكل شعب لغته الخاصة يتكلم بها أفراده الذين ينتمون إليه ، وأهم هذه اللغات .

الماندي : ويتكلم بها فروع الماندينغ جميعهم من سوننكي وديولا وبامبارا و .. وتعد أكبر لغة وطنية في مالي بصفة أن الماندينغ يشكلون أكثرية السكان .

التوكلورية : ويتحدث بها شعب التوكلور وشعب الفولاني .

الصنغانية : وينطق بها الصنغاي .

البربرية : وتسود لدى الطوارق .

العربية : ويتكلم بها المغاربة ، كما أنها لغة المسلمين لذلك تسود في كثير من المناطق التي يكثر فيها المثقفون ، وتدرس في

المدارس الاسلامية كلغة ثانية ، بل ان بعض المدارس تقوم على تعليمها .

الفرنسية : وهي اللغة الرسمية في البلاد ، وقد فرضت بعد دخول الفرنسيين البلاد .

المدن :

باماكو : هي العاصمة ، وتقع على نهر النيجر ، في الجنوب الغربي من البلاد ، ولا تبعد كثيرا عن حدود غينيا ، وتتصل بخط حديدي مع (داکار) عاصمة السنغال على ساحل المحيط الاطلسي والتي تعد ميناء البلاد حيث ان مالي لاسواحل لها . ويبلغ عدد سكانها مائتي ألف نسمة . وقد استقر فيها أحد أمراء مملكة مالي القديمة في بداية القرن الثاني عشر الهجري فأخذت شهرتها تزداد من ذلك الوقت ، وتعد اليوم أكبر مركز صناعي في البلاد .

كايس : ويزيد عدد سكانها على الخمسين ألفا ، وتقع على نهر السنغال ، غير بعيد من حدود السنغال ، وتقع على الخط الحديدي الذي يصل بين باماكو وداكار .

سيفو : وتقع على نهر النيجر ، ويقرب سكانها من الخمسين ألفا . وكانت مركز إحدى إمارات البامبارا في القرن الحادي عشر الهجري ، وهي في منطقة زراعية .

سيكاسو : وتقع في الجنوب الغربي ، على نهر (بانينغ) أحد روافد نهر (باني) أكبر روافد نهر النيجر .

موتي : وتقع عند التقاء نهر النيجر برافده نهر (باني) ، وهي في منطقة زراعية .

غاو : عاصمة الصنغاي ، وتقع في ثنية نهر النيجر بعد أن يبدأ بالانحدار نحو الجنوب الشرقي .

جني : مدينة على مرحلة من الضفة اليسرى لنهر (باني) رافد النيجر ، تقوم على هضبة صخرية وسط سهل فسيح تغطيه المياه في الفصل المطير فتصبح خلال ثلاثة أشهر (تموز - آب - أيلول) أشبه ماتكون بالجزيرة حيث تفيض مياه النيجر وباني ويختلط بعضها مع بعض ، ويفصل هذه المدينة عما جاورها من البلدان والقرى نطاق من المستنقعات في فصل الصيف مكن الاهالي في كثير من الاحيان من صد غارات المهاجمين .

لا يزيد عدد سكان هذه المدينة على عشرة آلاف أغلبهم من (البوزو) و (البامبارا) و (الفولاني) واللغة سائدة فيها الفة (البوزو) ، وتستعمل الفة (الصنغاي) في التجارة على الرغم من أن كثيرا من الاهالي يجيدونها .

وهي سوق من أسواق المسلمين يجتمع فيها تجار الملح والذهب في القديم ، كما غدت سوقا لتجارة الرقيق ، وكانت تنافس مدينة (تومبوكتو) في الجانب الفقهي إذ كانت مثلها مركزا ثقافيا كبيرا للدراسات الاسلامية ، واحتفظت بهذا المركز مدة بعد احتلال الفرنسيين للبلاد ومحاولة تحطيم المراكز الاسلامية فضعف مركزها واقتصر التعليم الديني فيها على قراءة القرآن .

ويبدو أن تأسيس هذه المدينة يعود إلى القرن الثالث الهجري
بعد أن أغار (السنونو) من منطقة (ماسينا) عليها ، ولكن الغزاة
اختلطوا مع المغلوبين من (البوزو) ، واندمجوا معهم ، انضمت
البلدة القديمة (جينو) على السكان ، فانتقل (السنونو) إلى
هذا المكان وأقاموا مدينتهم (جني) وإلى الشمال قليلا من مدينة
(البوزو) . وكان (السنونو) وثنيين ولكنهم بدؤوا يدخلون في
دين الله على حين بقي رؤسائهم على وثنيتهن حتى القرن السادس
الهجري حيث أسلم أحدهم ، فهدم قصره وشيد مكانه مسجدا
لاتزال آثاره ماثلة إلى الآن .

حكم (الصنفاي) (جني) من عام ٨٨٥ هـ فساد الأمن
وتوسعت التجارة فوصلت إلى (تومبوكتو) و (غاو) ، وبعد
(الصنفاي) جاء حكم عرب الشمال فدخلت جيوش مراكش
(جني) عام ١٠٠٥ هـ ، وكان هذا الحكم سيئا فهاجر كثير من
السكان ديارهم ، وفي الوقت نفسه بدأت هجمات (اليا مابارا)
الذين استولوا على المنطقة باستثناء المدينة . إلا أن الفولاني دخلوا
(جني) عام ١٢٢٥ هـ ، ودخل الأهالي طوعا (لأحمدو شيخو
المرابطي) .

ثار العرب الموجودون فيها على الفولاني ، وقاموا بعمليات ذبح
للذين استقروا في المدينة من الفولانيين ، فاضطر (أحمدو شيخو)
إلى حصار المدينة ، وتم له فتحها ، فنفي العرب منها وأعطى أملاكهم
للفولانيين .

استولى (الحاج عمر) على المدينة عام ١٢٨٠ هـ ، ثم جاء الفرنسيون عام ١٣١١ هـ بقيادة الكولونيل (أرشيغار) .

تومبوكتو : تأسست عام ٤٩٤ هـ على ضفة نهر النيجر ، وأصبح لها شأن عظيم على أنها مركز إسلامي كبير ، توافد إليه طلاب العلم من افريقية الغربية كلها .

هاجرت أول أسرة حكمت (تومبوكتو) من مالي عام ٧٣٧ هـ وظلت تحكمها مائة عام . ثم حكمها الطوارق أربعين سنة ، ثم صنغاي من ٨٧٣ - ٨٩٨ هـ ، ثم مراکش ٨٩٩ - ٩٧٨ هـ ، ثم استردها الطوارق السودانيون عام ١٢٠٧ هـ . ثم الفولانيون عام ١٢٤٣ هـ . ثم جاء الفرنسيون عام ١٣٢٠ هـ .

وفي هذه المدينة الكثير من الآثار الاسلامية .

التقسيمات الادارية :

تقسم دولة مالي إلى ست أقاليم هي : كايس - باماكو - سيفو - سيكاسو - موبتي - غاو .

ويقسم كل إقليم إلى عدد من الوحدات الادارية يبلغ مجموعها ٤٢ وحدة .

مَعَ النِّشَاطِ الْاِقْتِصَادِي

تعتمد مالي في اقتصادها على الزراعة وإن كانت تعاني مشكلات كثيرة منها الجفاف الذي يحل بها ، ومنها إيجاد السوق لبيع الفائض من المواد الغذائية التي كانت تصدر إلى السنغال ومنها المواصلات لنقل البضائع حيث إنها دولة داخلية وكل اتصال مع العالم الخارجي يجب أن يتم عبر أراضي جارة من جاراتها ، ومنها الحاجة إلى رؤوس أموال لإقامة المشروعات المختلفة والنهوض بالاقتصاد .

الزراعة : إن أخصب الأراضي الزراعية تتركز حول نهري النيجر والسنغال وبخاصة حول باماكو وتومبوكتو وكايس . أما الأراضي الزراعية الأخرى والمروية بمياه الآبار وطرق الري البدائية البسيطة ، إلى جانب الأمطار فموزعة في مناطق متفرقة من البلاد حيث تتوفر الأمطار الفصلية ، وتتعرض الأراضي التي تعتمد على المطر إلى أخطار الجفاف والجراد ، كما أن الاعتماد على الطرق البدائية في استغلال الأرض يؤدي إلى إفقاد التربة خصوبتها بسرعة إذ تزرع الأرض بعد حرق الأعشاب والأشجار وما إن تفقد الأرض خصوبتها حتى يهجرها زارعوها وينتقلوا إلى أراض جديدة دون محاولة لاستخدام الدورات الزراعية أو استخدام الأسمدة للتعويض عما تفقده التربة خلال الزراعة المستمرة .

وكثير من أراضي مالي صحراوية جافة أو فقيرة عليها طبقات

من اللاتريت الحديدية تنمو عليها أعشاب فقيرة .

وإلى جانب ذلك تقوم في مشروعات حديثة للتنمية الزراعية منها سد (سانسافدينغ) عند بلدة (سيفو) لري المناطق الواقعة بين (سيفو) و (امويتى) إلى الشمال من مجرى نهر النيجر والتي تقدر مساحتها بحوالي ١٢٠ ألف فدان ، وينتظر توسعة المساحة المزروعة إلى عشرة ملايين فدان وأهم الحاصلات الزراعية :

الأرز : وهو المحصول الرئيسي للاستهلاك المحلي ، ويزرع في السهول المنتشرة على طول مجرى نهر النيجر ، ويبلغ معدل الانتاج السنوي حوالي ١٦٥٠٠٠ طن .

الفول السوداني : وهو المحصول الرئيسي للتصدير ، ويبلغ معدل الانتاج السنوي حوالي ١١٠٠٠٠ طن .
الدخن : ويزرع بشكل خاص في المناطق التي حول مدينة (سيفو) و (بانديا غارا) .

القطن : و انتاجه في ازدياد مستمر ، ويبلغ معدل الانتاج السنوي حوالي ١٥٠٠٠ طن . وإلى جانب هذه المحصولات الرئيسية نجد زراعة السمسم وقصب السكر والذرة الرفيعة إلا أن الانتاج لا يغطي حاجة الاستهلاك المحلي عدا الذرة .

كما توجد أشجار الصنغ وأشجار (السبي) البرية التي يستخرج من جوزاتها مادة دهنية تستعمل لزيت الطهي وفي صناعة الصابون .

وقد أنشئ عام ١٣٥١ هـ مكتب للتخطيط في سبيل تحسين

إنتاج القطن والارز عن طريق مشروعات زراعية لزيادة مساحة الاراضي المزروعة أو لتأمين معامل للزيت ومصانع لحلج القطن وصناعة الصابون . كما أقيمت مدارس زراعية وعيادات بيطرية ومستودعات .

الثروة الحيوانية : تملك مالي ثروة حيوانية تضم مختلف أنواع الحيوانات فالابقار ترعى في السافانا والاغنام ترعى في هامش الصحراء ، والماعز يربي في السفوح الجبلية ، ويقدر عدد الثروة الحيوانية كما يلي :

الابقار ٠٠٠٠ر ٠٠٠ر ٠٠٠ر رأس .

الاغنام ٠٠٠ر ٤٠٠ر ٣٠٠ر رأس .

الماعز ٠٠٠ر ٠٠٠ر ٧ر رأس .

وتنتج كميات كبيرة من الألبان ومشتقاتها . وتصدر عددا من الحيوانات ، وكميات من اللحوم ، وعددا من الجلود يضاف إلى جلود الحيوانات المذكورة جلود الضب والتمساح والافاعي .
صيد السمك : ينشط الصيد في نهري النيجر والسنغال ، وتعد (سيفو) و (موبتي) مركزين هامين لصيد السمك ، ويقدر الانتاج السنوي بحوالي ٩٥ ألف طن ، ويصدر نصف هذه الكمية الى البلدان المجاورة .

الثروة المعدنية : تحوي أرض مالي كثيراً من الثروات المعدنية ، لكن يستغل منها الحديد والذهب والملح فقط ، وإضافة الى ذلك يوجد البوكسيت والألماس ، فالذهب تنتج منه

كميات قليلة ، ويكفي الحديد ما يحتاجه السكان لصناعة أدواتهم الزراعية • أما الملح فتقوم الجمال بنقله من مدينة الملح الشهيرة (تاودني) الواقعة على بعد ٧٠٠ كم الى الشمال من مدينة (تومبوكتو) ، وينقل الملح عادة على شكل ألواح يزن اللوح (٣٠ - ٤٠) كيلو غراماً •

الطاقة : تقوم في مدينة (كايس) محطة لتوليد الطاقة الكهربائية تعمل على الماء ، وهناك محطات أخرى تعمل على النفط في (باماكو) و (غاو) و (سيفو) وغيرها ...

الصناعة : على الرغم من تقدم الصناعة إلا أن معظمها لا يزال بسيطاً يعتمد على المواد الأولية المحلية من زراعة وحيوانية مثل زيت الفول السوداني وزيت جوز السبي والحلويات والجلود والصابون والأحذية والاسمنت •

وأغلب الصناعات إنما هي محلية تقليدية وأكثرها يدوية بسيطة تعمل على سد حاجات السكان الضرورية •

التجارة : تصدر مالي الفول السوداني - زيت الفول السوداني - الحيوانات - الجلود - الأرز - الملح - القطن • ومعظم الصادرات تتجه نحو البلدان المجاورة • والميزان التجاري خاسر ، حيث تعادل الواردات ضعف الصادرات •

والوحدة النقدية في مالي هي « الفرنك الجديد » •

المراجع

- للاسلام والمسلمون في غرب إفريقيا : عبد الرحمن اركي
 الاعلام : خير الدين الزركلي
 إفريقية - الارض والناس : محمد عبد الفتاح ابراهيم
 اقتصاديات العالم الاسلامي : محمود شاكر
 الدعوة إلى الاسلام : توماس.و. أرنولد - ترجمة
 حسن ابراهيم احسن
 التبشير والاستعمار : عمر فروخ - مصطفى الخالدي
 الكشوف الجغرافية : محمود شاكر
 امبراطورية غانة : ابراهيم علي طرخان
 انتشار الاسلام في افريقية : حسن ابراهيم احسن
 تقويم البلدان الاسلامية : اصدار مؤتمر العالم الاسلامي
 - كراتشي
 تقويم العالم الاسلامي : اصدار معهد الدراسات
 الاسلامية - القاهرة
 الجغرافية السياسية لافريقية : فيليب رفة
 حاضر العالم الاسلامي : لوثرروب ستودارد - ترجمة
 عجاج ويهض - تعليق شكيب
 ارسلان
 قادة فتح المغرب : محمود شيت خطاب
 معجم البلدان : ياقوت الحموي
 مواطن الشعوب الاسلامية : محمود شاكر
 سلسلة كتب

الفهرس

٣	اعتذار
٥	مقدمة
٩	مع الجغرافية
١٠	السطح
١١	المناخ
١٢	المياه
١٥	النبات
١٧	مع التاريخ
٢٦	امبراطورية غانة
٣٣	اسلام امبراطورية غانة
٣٧	امبراطورية الصوصو
٤٠	مملكة مالي
٤٩	امبراطورية الصنفاي
٥٥	البامبارا
٦٠	الاستعمار
٧٢	مع السكان
٧٨	المدن
٨٢	مع النشاط الاقتصادي
٨٧	المراجع
٨٨	الفهرس

مواطن الشعوب الإسلامية

صادر منها :

أ - في آسيا

- ١ - تركستان الغربية
- ٢ - تركستان الشرقية
- ٣ - قفقاسيا
- ٤ - باكستان
- ٥ - اندونيسيا
- ٦ - اتحاد ماليزيا
- ٧ - فطاني
- ٨ - المسلمون في قبرص
- ٩ - المسلمون في الفلبين
- ١٠ - جزر المالديف
- ١١ - أفغانستان
- ١٢ - تركيا
- ١٣ - إيران
- ١٤ - شبه جزيرة العرب
- ١ - عسير
- ٢ - نجد
- ٣ - الحجاز

ب - في إفريقيا

- ١ - غينيا
- ٢ - نيجيريا
- ٣ - الصومال
- ٤ - موريتانيا
- ٥ - أرتيريا والحبشة
- ٦ - تشاد
- ٧ - تانزانيا
- ٨ - السنغال
- ٩ - أوغندا
- ١٠ - ليبيا
- ١١ - السودان
- ١٢ - جزائر القمر
- ١٣ - المسلمون في بورتوريكو
- ١٤ - مالي

ج - كتب أخرى

- ١ - العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه
- ٢ - الكشوف الجغرافية
- ٣ - اقتصاديات العالم الإسلامي
- ٤ - سكان العالم الإسلامي .
- ٥ - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية
- ٦ - المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية
- ٧ - الجماعات البدائية
- ٨ - جغرافية البيئات